المعهد الفرنسي بدمشق
للدراسات العربية

كتاب في السياسة

تأليف

الوزير الكامل أبي القاسم الحسين بن علي المغربي
المتوفى سنة ٤١٨ هـ

عُني بنشره وتحقيقه وتعليق حواشيه

سامي الدهان
دكتور دولة في الآداب من باريس

دمشق
١٣٦٧ - ١٩٤٨



المعهد الفرنسي بدمشق
للدراسات العربية

كتاب في السياسة

تأليف
الوزير الكامل أبي القاسم الحسين بن علي المغربي
المتوفى سنة ٤١٨ هـ

عُني بنشره وتحقيقه وتعليق حواشيه
سامي الدهان
دكتور دولة في الآداب من باريس

دمشق
١٣٦٧ - ١٩٤٨



الى الصديق المستشرق هنري لاووست

الذي احب لغة بلادي وتاريخها

سامي الدهان



مقدّمة النَاشِر

« كان مشارًا اليه في قوة الذكاء والفطنة ، وسرعة الخاطر »
« والبديهة ؛ عظيم القدر ، صاحب سياسة وتدبير ، وحيل »
« كثيرة ، وأمور عظام ، دوّخ الممالك ، وقلب الدول . . . »

« المقريزي »



المقـــدّمة

١ ــ حياة الرجل

٣٧٠ — ٤١٨ هـ / ٩٨٠ — ١٠٢٧ م.

أورد ابن خلكان[1] نسب هذا الرجل على أكمل ما في التواريخ ؛ وذكر لنا أنه أخذ ذلك عن ابن الصيرفي المصري صاحب الرسائل[2] ، الذي نقل النسب من خط الوزير نفسه قال :

هو « أبو القاسم الحسين» بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن محمد[3]
ابن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذان[4]
ابن ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاموس بن فيروز بن يزدجرد[5]
ابن بهرام جور (ملك فارس).

---

(١) « وفيات الاعيان » ج ١ ص ١٥٥ .

(٢) هو ابو القاسم عليّ بن مُنجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي ، من رؤساء الكتاب في عهد الدولة الفاطمية ، توفي سنة ٥٤٢ هـ. وألف في الفاطميين « الاشارة الى من نال الوزارة » ط. مصر ١٩٢٤ ؛ وله « قانون ديوان الرسائل » ط. مصر ١٩٠٥ ، انظر مقدمة ديوان الرسائل بالعربية ص ١٥ ، وبالفرنسية ترجمة ماسّيه ط. مصر ١٩١٣ ص ٦٨ .

(٣) في ابن عساكر ج ٤ ص ٣٠٩ : « محمد المصريّ» وهو تصحيف من « المغربي » .

(٤) في ياقوت « ارشاد الأريب » ج ١٠ ص ٧٩ ، وفي ابن عساكر : «بن باذام » .

(٥) ينقص ياقوت من نسب الرجل : « بن بلاش بن جاماس بن فيروز بن يزدجرد ».

وقد اتفق في نسبته الى ملوك فارس ياقوت وابن خلكان وابن عساكر .
وذكر المقريزي[1] أن بني المغربي أصلهم من البصرة ثم صاروا الى بغداد ، فعُيّن أبو الحسن عليّ بن محمد ، وهو والد جد « الوزير » على « ديوان المغرب » ، أحد الدواوين الثلاثة التي كانت ببغداد لذلك العهد ، وهي : ديوان المشرق ، وديوان المغرب ، وديوان السواد (أي العراق)[2] ، وهكذا نُسب الرجل الى المغرب . ولكن ابن خلكان يقول : « رأيتُ في بعض المجاميع أنه لم يكن مغربياً ، وانما أحد أجداده ، وهو أبو الحسين[3] عليّ بن محمد ، كانت له ولاية في الجانب الغربيّ ببغداد ، وكان يقال له المغربي ، فأطلقت عليهم هذه النسبة ، ولقد رأيتُ خلقاً كثيرًا يقولون هذه المقالة . ثم بعد ذلك نظرتُ في كتابه الذي سماه « أدب الخواص » فوجدت في أوله : وقد قال المتنبي واخواننا المغاربة يسمونه المتنبه ؛ فهذا يدل على أنه مغربيّ حقيقة لا كما قالوه ، والله أعلم . »

والذي ساق ابن خلكان الى هذا الشك لفظة « اخواننا المغاربة » ، ونحن نعلم أن الوزير كان يخدم الفاطميين المغاربة في مصر ، فلما تحدث عنهم قال « اخواننا » يعني هؤلاء الذين بسطوا ظلهم على مصر ، وجعلوا أبا الوزير في خدمتهم . والنسب الذي أورده المؤرخون الثلاثة ينفي الشك ، ويقطع انه من سلالة الملوك الفرس . فهم قد دخلوا البصرة فيمن دخلها من الفرس مسلماً ، ثم تعلموا العربية ، ولجئوا الى وظائف الدولة الاسلامية ، وارتقوا في مراتبها حتى كان منهم « أبو الحسن عليّ بن محمد » على ديوان المغرب في الدولة العباسية ، فأكسب الاسرة هذا الاسم ، واصبح ابناؤه يدعون « ابناء المغربي » نسبة الى منصبه .

*
* *

٤ - وُلد « لأبي الحسن عليّ بن محمد » المذكور صاحب ديوان المغرب ، ولدٌ دعاه « الحسين » فلما كبر تقلب في مناصب الدولة كوالده « عليّ »

(١) « الخطط » ج ٢ ص ١٥٧ .
(٢) « الحضارة الاسلامية » لمتز ، الترجمة العربية ، ج ١ ص ١٢٤ .
(٣) يختلف المقريزي عن ابن خلكان فيسميه « أبو الحسن » كما رأينا .

وتقلد اعمالاً كثيرة منها تدبير محمد بن ياقوت عند استيلائه على امر الدولة ببغداد ، ثم تزوج أخت « أبي عليّ هارون بن عبدالعزيز الأوارجي [١] »، الذي مدحه المتنبي بقصيدته المشهورة ، ومطلعها :

أَمِنَ أزدِيَارَكَ في الدُّجى الرُّقَبَاءُ إذْ حَيْثُ كُنْتَ مِنَ الظَّلَامِ ضِياءُ [٢]

وكان هارون الأوارجيّ هذا من اصحاب الوزير أبي بكر محمد بن رائق ، فلما لحق ابن رائق ما لحقه بالموصل في شهر رجب سنة ٣٣٠ هـ. هرب اتباعه واصحابه من بغداد ، وفيهم صهر الاوارجي « الحسين بن عليّ » ؛ فصار الى الشام ، ولقي الاخشيد ، واقام عنده ، فأكرمه . ولا نعرف لماذا انتقل بعدها من خدمة الاخشيد الى خدمة سيف الدولة ، حيث يقول ابن العديم : « ان الحسين كان كاتباً لسيف الدولة ، اسرته الروم في احدى غزواتها ، فبقي اسيراً عندهم الى ان مات سيف الدولة ، فحمل بقية المال ، وخلص ابن المغربي » [٣] ؛ ويقول ابن العديم في موضع آخر : « وينسب الى سيف الدولة اشعار كثيرة لا يصح منها له غير بيتين ذكر ابو القاسم الحسين بن علي المغربيّ كاتبه — وهو جد الوزير ابي القاسم المغربي — انهما لسيف الدولة ، ولم يعرف له غيرهما . » [٤] ونستنتج من هذا صدق قول المقريزي: « ان الحسين تخصص بسيف الدولة » ، فكان اذًا يلازمه ، ويروي له وحده اقواله.

*
* *

ابوه ذكر المقريزي بعد أن اورد انتقال « الحسين » الى الشام قائلًا: « وصار ابنه أبو الحسن علي بن الحسين ببغداد ، فأنفذ الاخشيد غلامه (فاتكاً) المجنون فحمله ومن يليه إلى مصر . ثم خرج ابن المغربي من مصر إلى حلب ولحق به سائر أهله ، ونزلوا عند سيف الدولة ابي الحسن عليّ بن عبدالله بن

(١) توفي الاوارجيّ في جمادى الاولى سنة ٣٤٤ هـ ؛ وقد اشترك في حادثة الحلاج ، انظر كتاب الحلّاج لماسينيون ص ٢٤٠ وما يليها ، وانظر كتاب بلاشير في المتنبي ص ٩٠ .
(٢) « ديوان المتنبي » ، شرح العكبري ج ١ ص ١٣ .
(٣) مخطوطة « زبدة الحلب » الورقة ٢٩ و .
(٤) المخطوطة نفسها ، الورقة ٤١ و .

حمدان مدة حياته ، وتخصص به (الحسين) بن عليّ بن محمد المغربي ، ومدحه أبو نصر بن نباته ، وتخصص أيضاً (علي بن الحسين) بسعد الدولة ابن حمدان ومدحه أبو العباس النامي.»[١]

ويذكر ابن العديم أن (علياً) هذا كان كاتباً لبكجور ، غلام قرغويه أحد غلمان سيف الدولة فيقول : « ثم أقام سعد الدولة يحاصر القلعة حتى نفد ما فيها من القوت ، فسلمها بكجور إليه ، في شهر ربيع الآخر من سنة سبع وستين وثلاثمائة ، وولى سعد الدولة بكجور حمص وجندها ، وكان تقرير امر بكجور بين سعد الدولة وبينه على يد أبي الحسن (علي بن الحسين) بن المغربي الكاتب ، والد الوزير ابي القاسم.»[٢]

ثم يقول ابن العديم : « وسيّر سعد الدولة جيشه خلفه غازياً حتى بلغت عساكره انطاكية ، وكان الجيش مع وزيره ابي الحسن عليّ بن الحسين بن المغربي.»[٣]

ثم تقع وحشة بين سعد الدولة وبين علي المغربي يذكرها ابن العديم : « ومات الامير قرغويه بحلب في سنة ثمانين وثلاثمائة ، ثم ان بكجور قوي أمره واستفحل ، وأخذ اليه أبا الحسن علي بن الحسين المغربي ، واستوزره لمباينة حصلت بينه وبين سعد الدولة.»[٤]

ثم يحسّن المغربي لبكجور ان يعصي سعد الدولة ، وان يكاتب العزيز بالله الى مصر ، فلما ولّاه العزيز ولاية دمشق ، تسلمها وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة ابن المغربي وتغريره . وكانت خطوب آلت الى قتل بكجور ، وهرب ابن المغربي الى الرقة ، فلما سار ابن حمدان اليها فرّ ابن المغربي منها الى مشهد عليّ بالكوفة . ومن الكوفة كاتب (علي المغربي) العزيزَ بالله وقد توفي سعد الدولة وخلفه سعيد الدولة يستأذنه في القدوم فأذن له .

---

(١) « الخطط » ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) « زبدة الحلب » - المخطوطة ، الورقة ٤٦ و .

(٣) الكتاب نفسه ، مخطوط ، الورقة ٤٧ ظ .

(٤) المصدر نفسه ، الورقة ٨ و .

وقدم المغربي مصر في النصف من جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وثلثمائة ؛ فدخل مصر ، وخدم فيها ، وتقدم في الخدم . وحرض العزيز على اخذ حلب ، وهوّن عليه امر تمليكها . فقلد قائده « منجوتكين » بلاد الشام ، وضمّ اليه « عليًّا » المغربي ليقوم بكتابته ، ونظر الشام ، وتدبير الرجال والاموال.

وهكذا سار « علي » إلى دمشق سنة ٣٨٣هـ ؛ ثم الى حلب فحارب ابن حمدان وغلامه لؤلؤًا. ولكن الغلام لما يئس أغرى المغربي بالمال ، واستماله حتى صرف منجوتكين عن حرب حلب ، وعاد إلى دمشق ؛ فاشتد حنق العزيز لما بلغته خيانة المغربي ، واستبدله بغيره ، واستعاده الى مصر[1].

ولم يزل (علي) في مصر حتى مات العزيز وقام من بعده الحاكم بامر الله ، فأصبح (علي) وولده (الحسين) من جلسائه، حتى كان قتل الحاكم رجال الدولة والقواد ، فقبض على أبي الحسن ومحمد ابني المغربي ، وقتلهما . وأمر ان يحضر أبو القاسم وأخواه وان يقتلوا وذلك عام ٤٠٠هـ. قال ابن القارح: « ثم سافرتُ الى مصر ، ولقيت أبا الحسن المغربي ، فألزمني أن لزمته لزوم الظل ، وكنت منه مكان المِثل، في كثرة الانصاف ، والحنو والالتحاف. فقال لي سرًّا : أنا أخاف همة أبي القاسم أن تنزو به الى أن يوردنا وردًا ، لا صَدر عنه ، وان كانت الانفاس مما تحفظ وتكتب ، فاكتبها ، واحفظها ، وطالعني بها . فقال يوماً: ما نرضى بالخمول الذي نحن فيه . قلت : وأيُّ خمول هنا ؟ تأخذون من مولانا — خلد الله ملكه — في كل سنة ستة آلاف دينار ، وأبوك من شيوخ الدولة ، وهو معظّم مكرّم ، فقال : أريد ان تُصار الى أبوابنا الكتائب والمواكب والمقانب ، ولا أرضى بأن يجرى علينا كالولدان والنسوان . فأعدتُ ذلك على أبيه. فقال : ما اخوفني ان يخضب ابو القاسم هذه من هذه ، وقبض على لحيته وهامته. وعلم ابو القاسم بذلك ، فصارت بذلك بيني وبينه وقفة. »[2]

وهكذا ترى أن ابن القارح يعزو سبب النكبة إلى طمع الوزير أبي القاسم

---

(١) تفصيل ذلك في ابن العديم ، انظر المخطوطة ، في الورقة ٥٠ ظ .

(٢) « رسالة ابن القارح » في كتاب « رسائل البلغاء » ص ٢٧٣ .

وطموحه . ومهما يكن من تحامل ابن القارح ودفاع المعري ، فان الكارثة كانت وحشية في أبشع صورها .

*
**

صباه لا شك في أن (الحسين) ولد في الشام ، على عكس ما يروي المؤرخون ، فقد رأينا ان جدّه « الحسين » هرب إلى الشام ، بعد الفتك بابن رائق ، ولجأ الى الاخشيد ، فأرسل الاخشيد « فاتكاً » غلامه ، فحمل « عليّاً » وحمل ابنه « الحسين » معه الى مصر مع من يليه . ثم رأينا ان الوالد خرج من مصر الى حلب ولحق به سائر أهله ، ونزلوا عند سيف الدولة مدة حياته ، أي قبل عام ٣٥٦هـ. حيث أصبح الوالد في خدمة سعد الدولة ابن سيف الدولة ، ثم في خدمة بكجور ضد سعد الدولة ، فلما غُلب بكجور هرب الى الرقة فالكوفة وعاد الى مصر عام ٣٨١هـ. وبهذا نرى ان السنين التي انقضت بين ٣٥٦هـ – ٣٨١هـ ؛ قضاها الوالد ، وأسرته في الشام . والمؤرخون يتفقون على ولادة هذا الصبيّ عام ٣٧٠هـ ؛ فيجب ان تكون هذه الولادة ، في بقعة من بقاع الشام. والوالد ارّخ هذه الولادة بقلمه . قال ابن خلكان : « وجدتُ في بعض المجاميع ما صورته: وُجد بخط والد الوزير المغربي على ظهر مختصر اصلاح المنطق ، الذي اختصره ولده الوزير ما مثاله: ولد ــ سلمه الله ، وبلغه مبلغ الصالحين ــ في اول وقت طلوع الفجر من ليلة صباحها يوم الاحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة .»[1]

*
**

نشأته وقرأ ابن خلكان كذلك بخط والد الوزير يتحدث عن ابنه في المجموع المذكور ما صورته : « انه استظهر القرآن العزيز ، وعدة من الكتب المجردة في النحو ، واللغة ونحو خمسة عشر الف بيت من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر ، وتصرف في النثر ، وبلغ من الخط إلى ما يقصر عنه نظراؤه ، ومن حساب المولد والجبر والمقابلة الى ما يستقل بدونه الكاتب ، وذلك كله

(١) « وفيات الأعيان » ج ١ ص ١٥٦ .

قبل استكماله اربع عشرة سنة ؛ واختصر هذا الكتاب فتناهى في اختصاره ، وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من الفاظه وغيّر من ابوابه ما اوجب التدبير تغييره للحاجة الى الاختصار ، وجمع كل نوع الى ما يليق به . ثم ذكرتُ له نظمه بعد اختصاره ، فابتدأ به وعمل منه عدة اوراق في ليلة ، وكان جميع ذلك قبل استكماله سبع عشرة سنة ، وأرغب الى الله تعالى في بقائه . »[1]

هذه هي الحياة التي قضاها الحسين في مصر يتثقف على علمائها ومدارسها ، فقد دخلها ، وعمره احدى عشرة سنة ، وتابع تحصيله فيها ، حتى اتقن هذه العلوم قبل الرابعة عشر من عمره ، فيما يقول أبوه ، وبدأ بتلخيص ابن السكيت قبل ان يبلغ سبعة عشر عاماً ، وليس هذا بالكتاب الهين اللين على من في مثل سنه . وليست خمسة عشر ألفاً من الشعر القديم بالكمية التي يحفظها مَنْ عمره اربعة عشر عاماً . وما هو الا حديث والد عن ولده ، يدفعه الحب والاعجاب الابويّان ؛ فيبالغ في حسن الظن بابنه ، ومهما كان شكنا في شهادة الاب له ، فاننا نرى ان الابن بلغ ما أراد له أبوه من مكانة بين علماء عصره. فان ياقوت يحدثنا ان للوزير أبي القاسم رواية عن الوزير ابي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة . ويسرد ياقوت هذه الحكاية ويقول في مكان آخر : « وذكر الوزير ابو القاسم المغربي في كتاب ادب الخواص كنتُ أحادث الوزير أبا الفضل جعفرًا المذكور وأجاريه شعر المتنبي »[2] فما ظنك بشاب في حدود العشرين من عمره يجاري الوزير ابن حنزابة في شعر المتنبي ويحادثه ويروي عنه ، والوزير آنذاك فيما يقول ابن خلكان: « يقصده الافاضل من البلدان الشاسعة ، وبسببه سار الحافظ ابو الحسن عليّ المعروف بالدار قطني من العراق الى الديار المصرية ، وذكر الخطيب التبريزي في شرحه ديوان المتنبي : أن أبا الطيب لما قصد مصر ، ومدح كافورًا مدح الوزير أبا الفضل المذكور بقصيدته الرائية التي أولها :

بَادٍ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَمْ لَمْ تَصْبِرَا ....

---

(١) « الوفيات » ج ١ ص ١٥٦ ؛ وكذلك « مرآة الجنان » ج ٣ ص ٢٣ .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ١١١ .

وجعلها موسومة باسمه ، فتكون احدى القوى في جعفر ، وكان قد نظم قوله في هذه القصيدة :

صُفْتُ النِّوَارَ لِأَيِّ كَفٍّ بَشَّرَتْ بِٱبْنِ العَمِيدِ وَأَيِّ عَبْدٍ كَبَّرَا[1]

« بَشَّرَتْ بِٱبْنِ الفُرَاتِ » ، فلم يرضه صرفها عنه ، ولم ينشده إياها ؛ فلما توجه الى عضد الدولة . . . حوَّل القصيدة اليه ، ومدحه بها . »[2]

ومهما يكن من أمر فان أبا الطيب ينتقي، في غالب الظن، من يمدح ومن يقصد. والحسين المغربيّ حضر مجالس الرجل وأماليه[3] ، حتى انتقل ابن حنزابه الى رحمة ربه عام ٣٩١هـ. وعمرُ كاتبنا إحدى وعشرون سنة . ولا شك في انه اشتغل بعد هذه السن في مكاتبة العلماء والادباء في الشام والعراق. وقد بلغتنا هذه الرسائل التي دارت بين المعري وبين أَبي القاسم، ونُقل الينا ان الوزير المغربي أرسل اليه جملة من شعره للعرض عليه على عادة الشعراء، فاعجبت القصائد أبا العلاء ووصفها بالبلاغة ، ودافع عنه في رسالة الغفران ، ومدحه في رسائله[4] ، ورثاه بعد موته . وكل ذلك يدل على تقدير المعرّي للوزير المغربي تقديرًا له وزنه ، فمن الصعب ان يعجب أبو العلاء بغير الفحول .

ونعتقد ان هذه الحقبة من عمر الوزير كانت أَخصب عهوده ، فنحن نفترض انه ألف فيها « ادب الخواص » و« الايناس في الانساب » وغيرهما مما لم يصلنا علمه ، حتى كان عام ٤٠٠هـ. فوقعت الواقعة ، وحيل بين الوزير العالم وبين الكتب ، وبدأ عهدٌ جديدٌ لا يتصل بالعلم ولا بالكتب.

*
**

(١) « شرح العكبري » ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ١١١ .

(٣) ترك محمد بن أحمد كاتب ابن حنزابة كتابًا في « مجالسه » وهو نفيس جدًا ما يزال مخطوطًا .

(٤) انظر « دمية القصر » للباخرزي ص ٤٠ – والمعروف ان القصيدتين اللتين أرسلهما المغربي ميمية وواوية وان المعرّي أجابه عليها برسالة المنيح ووجهها إلى مصر. انظر « رسالة الغفران » ط. الكيلاني ص ٥٦٠ وما بعدها.

السكة والهجرة

قال القلانسي في الكلام على منصور بن عبدون: « وكان رجلًا نصرانياً خبيثاً جلداً ، وبينه وبين ابي القاسم الحسين بن علي المغربي ووالده ابي الحسين علي عداوة قديمة ، ومساعاة ووقائع متصلة ، لان أبا القاسم صُرف به عن ديوان السواد ، فواصل أبو القاسم الوقيعة فيه ، والكلام عليه وعلى الكتاب النصارى الى أن قبض على جماعتهم ، فلما حصلوا في القبض أمر الحاكم بأن يضرب كل واحد منهم خمسمائة سوط فان مـات رُمي به الكلاب ، وان عاش أعيد ضربه إلى ان يموت.»[1] ؛ ويقول في مكان آخر: « وقيل ان منصور بن عبدون الناظر في الدواوين بمصر ، لم يزل بنو المغربي المقدم ذكرهم مستمرين على الوقيعة فيه ، والتضريب بالسعاية عليه ، وافساد رأي « الحاكم » فيه ، وهو يعتمد فيهم مثل ذلك ، ويغريه بهم ، ويحمله على قتلهم حتى تقدم الى جعفر الصقلبيّ وكان قد قام مقام مسعود السيفي في القتل ان يحضر عليًّا ومحمداً ابني المغربي ويدخلهما الحجرة ، ويضرب اعناقهما ، ففعل ذلك ثم امره ان يحضر ابا القاسم الحسين بن عليّ المغربي وأخويه ويقتلهم . فاما الأخوان فانهما أُخذا بعد ثلاثة ايام وقتلا ، وأَما أَخوهما أبو القاسم الحسين ابن عليّ ، فاستتر وأعمل الحيلة في النجاة ، وهرب مع بعض العرب »[2] ويضيف ابن ظافر: « ان الحاكم قتل أَبا الحسن عـليّ بن الحسين بن المغربيّ ، والد الوزير أَبي القاسم ، وقتل أَخاه أَبا الحسن عبد الله بن المغربيّ ، ومحسناً ومحمداً أَخوي الوزير المذكور لثلاث خلون من ذي القعـدة سنة اربعمائة وهرب الوزير أَبو القاسم يومئذ »[3] وفي صدره جراح عميقة لهذه الفاجعة الاليمة نتبين اثرها في الابيات التي رثى بها الوزيرُ اهله فجعلهم شهداء ، وجعل من مصر والمقطم كربلاء والطفّ ، نثبتها هنا ، لتُظهر فضل الاسرة وتشيع الرجل[4] :

(١) « ذيل تاريخ دمشق » ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٢ .

(٣) « الدول المنقطعة » ، مخطوطة ، الورقة ٥٩ و ؛ ويلاحظ انه يسمى ابني المغربي محسناً ومحمداً على خلاف غيره .

(٤) روى هذه الابيات ابن الصيرفي في كتابه : « الاشـارة الى من نال الوزارة » ص ٤٧ .

اذا كنتَ مشتاقاً الى « الطفّ » تائقاً الى « كربلا » فانظر عِراصَ «المقطمِ»
تجدْ من رجال « المغربيّ » عصابةً مضرجـةَ الأوداج تقطر بالدَّمِ
فكم خلّفوا محرابَ آيٍ معطلًا وكم تركوا من ختمة لم تتممِ

*
**

في الشام: هرب الوزير من القاهرة الى الرملة ، وبينهما « مائة فرسخ ، وكانت النوبة توافيها في الساعة الثالثة من اليوم الثالث »[1] ؛ فلما بلغ حلّة حسّان بن المفرج بن دغفل بن الجراح ، استجار فأجاره ، وأنشده قصيدة طويلة ، يوردها القلانسي[2] هشَّ لها حسان ، وجدد القول له بما سكن جأشه ، وأزال استيحاشه . فأقام الوزير عند « حسان » يحرضه على خلع الطاعة حتى رضي حسّان ، فلما بلغ الحاكم ذلك وجه اليه عساكر لحربه ، فانتصر جيش حسّان ، بسعي المغربي وسياسته ، فأغاظ الحاكم واقلقه ، وانزعج لذلك ، ثم ان الوزير المغربي سعى في الدعاء لامير مكة ابي الفتوح الحسن بن جعفر العلويّ، وسافر اليه مجتازًا بالبلقاء ، وأقنعه فأدخله الرملة ، وسهل له أكثر الشام . ولكن الحاكم أغرى « حسّان » بخمسين ألف دينار إذا خذل أمير مكة ، فرضي حسّان ، وانخذل ابو الفتوح وعاد الى مكة . وكتب المغربي الى الحاكم يطلب الامان ، ولكنه سافر الى بغداد قبل ان يصل الامان .

وانقضت هذه الفترة المتعبة المنهكة التي يفصّل الأمر فيها « ابن ظافر » تفصيلًا شيقاً ، ليس هنا مكان التوسع فيه . وانما نريد ان نثير أمرًا يستلفتُ النظر ، ذلك ان الوزير المغربي زار حلب ووصفها وقرأنا هذا الوصف في « بغية الطلب » لابن العديم[3] ، وله في المعرة أصدقاء يكاتبهم وفيهم المعريّ مكاتبة من زارهم في أرضهم . لهذا لن ننكر أن صاحبنا كان خلال حركته السياسية وثورته ضد الحكم ، يتصل بالعلماء ، ويجالس الأدباء ، ويكتب وينظم .

*
**

(١) القلانسي ص ٦٠ .
(٢) « ذيل تاريخ دمشق » ص ٦٢ – ٦٣ .
(٣) « بغية الطلب » مخطوطة استانبول الورقة ٤٢٠ .

في العراق وصل الوزير المغربي إلى بغداد ، فبلغ القادر بالله خبره ، فاتهمه بأنه قدم في فساد الدولة العباسية . فقصد إلى فخر الملك أبي غالب بن خلف وزير بهاء الدولة البويهي ، وأقام عنده بواسط ، فلما راسل القادرُ فخر الملك[1] الوزير في ابعاده اعتذر عنه ، وقام في أمره إلى أن توفي الوزير مقتولًا . فشرع المغربيّ في استعطاف الامام القادر حتى عطف عليه ؛ فعاد إلى بغداد قليلًا .

ثم شخص إلى قرواش عام ٤١٤ هـ ؛ أمير بني عقيل في الموصل ، فمنعه ابن أبي الوزير من الاقامة ، فاضطر إلى قصد (ديار بكر) ووزر لصاحبها أحمد ابن مروان ، فلما مات وزير قرواش أرسل في طلبه ليستوزره ، فلبى الطلب وتردد بين الموصل وبين بغداد ، يتوسط بين سلطانها وبين صاحب الموصل ، ويسفر بينهما لما عرف عنه من سياسة ولباقة ، حتى أرضى الديلم والأتراك ، فوزر فيها عام ٤١٥ هـ.

ولكنه خلال ذلك ، أغرى رجال الدولة بعضهم ببعض ، وأثار فتنة عمياء في الكوفة ذهب ضحيتها نفوس وأموال ، مما أفسد عليه المقام ، فرحل عن العراق ، وفرّ الى ميافارقين .

***

في ميافارقين عاد الوزير المغربيّ الى صاحب ميّافارقين وديار بكر مرة ثانية ، وقد سعد بالاقامة في المرة الاولى ، أعزه صاحبها وأكرمه حتى لقد تردد ابن خلكان في وصف هذه الاقامة ، فقال: « وأقام عنده على سبيل الضيافة الى ان توفي » وقال بعدها : « قيل انه لما توجه الى ديار بكر وزر لسلطانها أحمد بن مروان الى ان توفي »[2] وقال المقريزي: « ففر المغربي الى ابي

(١) تجد خبر الوزير في الضائع من « تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » للصابئ - نشر الاستاذ ميخائيل عوّاد - ص ٥٩ .

(٢) يتردد ابن خلكان بين ابي نصر بن مروان وبين أحمد بن مروان وهو يترجم للوزير المغربي ص ١٥٥ ، ولكنه حين ترجم لابن مروان سماه أبا نصر احمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ج ١ ص ٥٧ ، فهو اذاً كما يشهد ابن خلكان نفسه رجل واحد ، وقد تابعه في هذا الشك الراجكوتي ص ٩٠ .

نصر بن مروان فأكرمه وأقطعه ضياعاً » ويضيف ابن خلكان : « ومن جملة سعاداته انه وزر له وزيران ، كانا وزيري خليفتين ، احدهما ابو القاسم الحسين ابن عليّ المعروف بابن المغربيّ »[1]. وهنا وضع الوزير الاديب عصا التسيار ، والرحلة الى الاقطار ، ورضي بالبقاء ، حيث الدعة والهدوء وأسباب الراحة والنعيم .

ولعلنا لو بسطنا شيئاً من حياة احمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر أدركنا هذا الرخاء الذي كان يتملك جنبات هذا الملك الصغير . ولعلنا لو بسطنا شيئاً من اخلاقه تملكنا العجب منها . فقد وصف ابن خلكان الرجل عن ابن الازرق الفارقي من تاريخه : « أنه لم تفتــه صلاة الصبح عن وقتها مع انهماكه في اللذات . وانه كان له ثلثمائة وستون جــارية ، يخلو كل ليلة من ليالي السنة بواحدة ، فلا تعود النوبة اليها الا في مثل تلك الليلة من العام الثاني ؛ وانه قسم اوقاته : فمنها ما ينظر فيه في مصالح دولته ، ومنهــا ما يتوفر فيه على لذاته ، والاجتماع باهله ، والزامه . وخلف اولاداً كثيرة ، وقصده شعراء عصره ومدحوه ، وخلدوا مدائحه في دواوينهم »[2].

ويقول ابن شداد : « وكان الوزير المغربي قــد وصل إلى ميافارقين فاستوزره ورد الأمور كلها إليه »[3] وهذا يشهد بأن الوزير عاش عند ابن مروان مطلق اليد في الحكم ، مستريح النفس . ولا شك في أنــه شكر لملك البلاد على عادة العلماء لعصره والكتاب المؤلفين لزمنه ، فكتب له كتاباً يتقرب فيه منه . وهذا الكتــاب فيما نعتقد هو الرسالة التي نقدمها ، فهي تصور الوسط والملك .

***

(١) « الوفيات » ج ١ ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه وفي المكان عينه .

(٣) مخطوطة ابن شداد نسخة برلين الورقة ٥٧ و

وفاته أقام الوزير المغربيّ عند ابن مروان صاحب ميافارقين و ديار بكر ثلاث سنوات توفي إثرها في ١٣ رمضان سنة ٤١٨ هـ.[1] . ويقول المقريزي :« إنه أراد أن يقصد إلى بغداد ، فبرز عن ميافارقين ، فسمّ هناك، وعاد إلى المدينة فمات بها »[2] . ويروي ابن الجوزي :« انه لما أحس بالموت كتب كتاباً إلى من يصل إليه من الامراء ، والرؤساء الذين من ديار بكر والكوفة ، يعرفهم أنّ حظية له توفيت ، وأن تابوتها يجتاز بهم إلى مشهد امير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه ويخفره ، وكان قصده أن لا يتعرض أحد لتابوته ، وأن ينطوي خبره فتم له ذلك .»[3] وهذه الوصية تثير الظنون حول سلوك المغربيّ حيال الشيعة وغلاتها لعهده. وحياته السياسية بين يديك تريك الاضطراب والقلق مما يحرك الخوف ويبعث الشك .

ولما مات حُمل إلى الكوفة بناء على وصيته ودفن فيها بباب المشهد الغربي، في تربة مجاورة لمشهد الامام عليّ . وبعض المؤرخين يقول إنه أوصى أن يكتب على قبره نثر ويذكر هذا النثر ، وبعضهم يقول إنه طلب أن يكتب على قبره شعر وروى له الشعر ، وفي كليهما توبة وندم عما فرط منه خلال ثاني وأربعين سنة قضاها في الحياة الدنيا .

*
**

صفاته ودينه يقول المقريزي في وصفه : « انه كان أسمر شديد السمرة ، عالماً بليغاً مترسلًا متفنناً في كثير من العلوم الدينية والأدبية والنحوية ، مشاراً إليه في قوة الذكاء والفطنة وسرعة الخاطر والبديهة، عظيم القدر ، صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة وأمور عظام ؛ دوخ الممالك ، وقلب الدول ، وسمع الحديث ، وروى ، وصنف عدة تصانيف . . . وكان ملولًا حقوداً لا تلين كبده ، ولا تنحل عقده ، ولا يجنى عوده ولا ترتجى

(١) يذكر ابن شداد وفاته عام ٤٢٨ هـ . ويورد ابن خلكان تاريخي الوفاة ثم يقطع بأن الصحيح هو ٤١٨ هـ.

(٢) « المنتظم » ج ٨ ص ٣٢.

(٣) « المنتظم » ج ٨ ص ٣٢ .

وعوده ، وله رأي يزين له العقوق ويبغض إليه رعاية الحقوق ، كأنه من كبره قد ركب الفلك ، واستولى على ذات الحبك[1] ».

ويقول ابن أبي الحديد في حديث طويل عن أبي القاسم مما يدل على لون عيشه : « فهرب ليلاً ومعه بعض غلمانه ، وجارية كان يهواها ويتحظاها[2] » ثم يروي عن تشيعه : « وقوله لو لا عليّ لقلت في الأربعة انهم استار لؤم . . . إن علياً كالنبي في الفضيلة . . . وان النبوة حظ أعطيه ، وحرمه عليّ عليه السلام . . . »[3]

وينقل ابن أبي الحديد كذلك أن المغربي كان يتعصب لقحطان على عدنان وللانصار على قريش ، ثم نقل أن القادر وجد في مجموعة بخط الوزير المغربي ، قصيدة طويلة غضّ فيها من عدنان ، وتناول النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فغض القادر بذلك من دينه . ويروي هذا العلامة حديثه عن أبي جعفر العلويّ النقيب ، ثم يقول وكان أبو القاسم يتبرأ من ذلك ويجحده[4] .

ويعلق الراجكوتي على رواية ابن أبي الحديد قائلاً : « ولسنا نجزم بما أتى به النقيب ، ولا نظن ، فان النقيب ليس بمأمون عندنا ، فيما له علاقة بالمذهب الذي ينتحله . »[5]

ولكن الراجكوتي حين يحكم عليه يقول فيه : « ولا شك أنه كان حوّلاً قلباً خلطاً مزيلاً ، أديباً مصقعاً ، شاعراً مفلقاً داهية . وأكثر الناس يرمونه بأدواء ، ويصفونه بكل سوأة سوآء . فمنهم من يطعن في دينه كما مرّ عن النقيب ، وآخر يصفه بخبث النية وسوء الطوية كابن الاثير[6] وكصاحبه ابن القارح ، فانه بلغ في هجوه الغاية كما في الادباء ، ورسالته المكتوبة إلى صاحبنا

(١) « الخطط » ج ٢ ص ١٥٧ ؛ وقد اقتبس المقريزي رأيه هذا من رسالة ابن القارح التي كتبها إلى المعرّي ؛ انظر « رسائل البلغاء » ص ٢٧٤ .

(٢) « شرح نهج البلاغة » ج ٢ ص ٦ .

(٣) المصدر نفسه في الموضع عينه .

(٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٥٠٧ .

(٥) « ابو العلاء وما إليه » ص ٩١ .

(٦) « الكامل » ج ٥ ص ٤٢٥ .

بعد وفاته ، ووصفه فيها بالجنون والسآمة والحقد.»[١] .

وقال الباخرزي : « قرأت في رسائل أبي العلاء المعرّي ما نبهني عليه وعرفني درجته في البلاغة ، واختصاصه من صناعتي النظم والنثر بحسن الصياغة؛ وكان يلقب بالكامل ذي الجلالتين »[٢] .

وقد ترك لنا المعريّ في مدحه عدا رسائله قصيدة في رثاء الوزير المغربي[٣]، يشهد له فيها كذلك بالفضل والنبل ، والعلم والمعرفة ، ويأسى لفقده نوردها هنا شاهداً ودليلًا :

ليس يَبقى الضَّربُ الطويلُ على الدهـ ـر ولا ذُو العبالة[٤] الدّرحايهْ[٥]

يا « أبا القـاسم الوزير » ترَّحلـ ـتَ ، وخلفتني بِثفال رحـايَهْ[٦]

وتركتَ الكتبَ الثمينةَ للنا س وما رحتَ عنهم بسحايَهْ[٧]

ليتني كنتُ قبل أن تشرب الموْ تَ أصيلًا شربته بضحـايَهْ

أن تختك المنون قبـلي فـإنّي مُنتحاها وإنها منتحـايهْ

أمُّ دفرٍ تقول بعـدك للذا ئق لا طعم لي فـأين فحـايَهْ[٨]

إنْ يخطَّ الذنبَ اليسيرَ حفيظا كَ فكم من فضيلة محّايَهْ

وقد شهد الوزير المغربيّ كذلك بالفضل والنبل « مهيار الديلميّ » فدحه بقصائد ثلاث طويلة[٩] ، حوالي سنة ٤١٤–٤١٥ هـ ، لن نعرض لموضوعها ؛ فالديوان مطبوع متداول تستطيع أن ترجع إليه فتحكم بنفسك على صفات الوزير وما كان عليه .

*
**

(١) الراجكوتي ص ٩١ .

(٢) « دمية القصر » – طبعة الطباخ ص ٤٠ .

(٣) « لزوم ما لا يلزم » ج ٢ ص ٤٣٤ .

(٤)–(٥) الضرب : النحيف الخفيف اللحم – العبالة : الغلظ – الدرحاية : القصير .

(٦) ثفال : ما يبسط تحت الرحى ليحفظ الحب من السقوط والتناثر .

(٧) السحايه : كل ما قشر عن شيء ، وسحاية القرطاس ما سحي منه أي أخذ .

(٨) أم دفر : الدنيا – الفحايه : البزر ، جمعه أفحاء .

(٩) « ديوان مهيار الديلمي » ط. مصر ج ١ ص ٧٥ ، ٣٨١ – ج ٣ ص ١٣٤ .

أدبه وآثاره

أوردنا في الكلام عن نشأة الوزير المغربي شهادة الوالد في ولده ، وذكرنا ما حفظ من كلام الله ، والنحو واللغة والشعر ، وما تصرّف في النثر ، والخط والحساب والجبر والمقابلة وهو لمّا يبلغ الرابعة عشر من عمره .

وذكرنا ما للبيئة المصرية ، وما لمجالس ابن حنزابة من أثر في تكوين عله وثقافته ، وما لهذا التنقل والسفر بين الامراء والوزراء ، والسلاطين والخلفاء ، يسفر بينهم في سياستهم الخاصة والعامة ، ويصلح في العلاقات أو يفسد فيها ، على حد تعبيرنا اليوم .

فالوزير المغربيّ قد مرّ بمدارس ثلاث كونته تكويناً فذّاً :

المدرسة الأولى : مدرسة أسرته ، فهو قد نشأ كما رأينا في أسرة عملت للسياسة وناضلت فيها ، وعملت للعلم واشتركت فيه . فجده وأبوه كانا يكتبان قبله ، وكانا يسفران قبله ، ويخالطان العلماء والفقهاء ، والشعراء والأدباء ، قبله . فلا غرابة في أن يرث عن هذه الاسرة نعمة العلم ونقمة السياسة .

المدرسة الثانية : هي البيئة المصرية ، فقد حضر مجالس عامرة ، واشترك في الأدب والمناظرة ، وشهد الحلقات والمناقشة ، مما لا يصل إليه إلا من في مقامه من الديوان ، ومقام أسرته من السلطان .

المدرسة الثالثة : هي مدرسة الحياة الواقعية وليس من شك بعد الذي بسطنا في أن حياة الوزير المغربي كانت حياة طافحة بالنشاط ، عامرة بالعمل ، مفعمة بالسياسة والدهاء ، لا تكل عن التفكير ، ولا تني عن التدبير ، فلا غرابة بعد هذا في أن يخرج صاحبنا من هذه المدارس الثلاث ، وقد ألف ونظم ، وعقل وفهم . ولا غرابة في أن نرى له في التأليف ابواباً مختلفة ، في اللغة والتاريخ والسياسة .

ويكاد يتفق الذين ترجموه أنه كان يقول الشعر الحسن ، وأنه نظم فيه عن بديهة وله في كتب الأدب والتاريخ مقطعات وقصائد في موضوعات مختلفة، وأنه كان يقارض الشعراء ، ويبادلهم بقصائده . ولعل رضا المعرّي عن شعره يدلنا على أن الوزير المغربيّ لم يكن يُعنى بالأسلوب كما كان يُعنى بالأغراض ، وفي ذلك حكم أدبي لسنا نتعرض له هنا .

ولم يكتف صاحبنا بقرض الشعر ، وانما نقله ورواه ، فقد جاء في «جرزة الحاطب» أن الوزير المغربيّ نقل الديوان بخطه :« نقلت من خط . . . عليّ بن ثِروان[1] بن الحسن الكندي النحوي ما صورته : كان بخط الوزير أبي القاسم المغربي على وجه هذا الجزء ما حكايته : جزءٌ جميعه منسوخ من خط أبي العباس .»[2]

وللوزير كذلك كثير من الحواشي والشروح الدالة على تضلعه من علوم الأدب . كديوان امرئ القيس صنع السكريّ عليه خط ابن ثِروان يقول: « انه نقله من خط أبي القاسم الوزير المغربيّ »[3]

وأما تآليفه فقد أورد ابن خلكان أسماء بعضها منها : مختصر اصلاح المنطق ، وكتاب الإيناس وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ، ويدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب أدب الخواص ، وكتاب المأثور في ملح الخدور وغير ذلك . . .[4]

وسنسعى إلى وصف ما وصل منها ، وما سلم حتى عصرنا، مما لا يزال مخطوطاً في رفوف المكتبات ، وخزائن العواصم الغربية ؛ لنتعرف إلى بحوثه ومواضيعه ومكانته في عالم التأليف :

(١) ابن ثروان هو ابن عم أبي اليمن الكندي قرأ على الجواليقي ، وتوفي نحو سنة ٥٦٥ ﻫ .

(٢) الراجكوتي : « أبو العلاء وما إليه » ص ٩١ .

(٣) « فهرس ليدن للمخطوطات العربية » تأليف هوتسما وده خويه ، بريل ١٨٨٨ ص ٣٤٧ .

(٤) ابن خلكان : « الوفيات » ج ١ ص ١٥٦ .

١ ــ مختصر اصلاح المنطق ــ امتدحه ابو العلاء المعريّ ، في الرسالة الاغريضية[1]، وقرظه ، وهو مخطوط في مكتبة الاسكوريال بمدريد تحت رقم ٦٠٥[2].

وعنوانه على المخطوط : « سفر فيه كتاب المنخل وهو مجرد كتاب اصلاح المنطق المحيط بجميع فوائده دون تكرار شواهده ، اختصار الحسين بن علي ابن الحسين المغربي الكاتب » . ويصفه المفهرس بأنه حذف منه الاشعار المتكررة في الشواهد . وهو مضبوط مشكول كتب عام ٤٨٦ هـ. في [٨٧ ورقة] . لم يذكره حاجي خليفة في كشف الظنون .

٢ ــ الايناس بعلم الانساب ــ مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ٥٩٤[3]

أول النسخة : « نكتب ان شاء الله في هذا الكتاب ما يحضرنا ذكره من الاسماء التي تشاكلت بعض التشاكل ، وبقي بينها من الفرق ما يرتفع اللبس بايضاحنا اياه مثل (فهم وقهم) . ومن الاسماء التي الفاظها لدات لا تختلف ، وأشكال لا تفترق ، فنعتمد بايرادها الدلالة على اتفاقها ، وإعلان القارئ من ذعر الشك فيها، مما نظنه من حسن موقع اجتماعها مثل بكر بن وائل من عدنان ؛ وبكر بن وائل في قحطان . ومن الاسماء الافراد التي وضعت وضعاً مشكلاً ، فيخاف القارئ تصحيفها ما لم يكن في علم النسب مبرزا مثل شمس ومثل ابي خلده ومثل شهل بن شيبان ، ونورد ذلك على حروف المعجم ليقرب متناوله ، ويذل مجتناه . »

وختام النسخة : « آخر ما وجد في اصل ابي القاسم بن المغربي رحمه الله ومنه نقل ». وبعدها: « نقل من دستوره بخطه وعليه علامة التصفح والمقابلة بخطه . » والنسخة في مائة ورقة ؛ كتب في القرن الحادي عشر للميلاد .

(١) « رسالة الغفران » ط. الكيلاني ص ٥٩٦ .
(٢) « فهرس مكتبة الاسكوريال » تأليف ديرنبورغ – ج ١ ص ٤١٤ .
(٣) « فهرس المتحف البريطاني » – ص ٣٨٥ .

٣ ــ أدب الخواص: في المختار من بلاغة قبائل العرب واخبارها وأنسابها وأيامها : ــ وهذه النسخة في مكتبة بروسه فى الاناضول بتركيا[1].

٤ ــ المأثور في ملح الخدور ــ ذكره ابن خلكان ، ولم نسمع بوجوده في مكتبة ما .

٥ ــ كتاب في السياسة ــ هذا الذي ننشره اليوم ، وهو أهم كتبه في نظرنا ، وأحقها بالنشر ، لانه يصور ثقافة الرجل احسن تصوير ، بل هو أهم ما كتب في موضوعه مما وصل الينا من كتب السياسة المؤلفة في القرن الرابع الهجري التي سنعرض لها بالتلخيص والنقد في الفصل التالي .

اما كتبه السابقة فشبيهة بما نشر في العربية من كتب الانساب والقبائل ومفردات اللغة ، وان كانت تضيف اليها معلومات جديدة ومصادر ثرّة .

---

(١) نجد النسخة ذكراً في «مجلة المستشرقين الالمان» الموسومة ZDMG ج٦٨ ص٥١ .

٢ ـ العصر وكتب السياسة

القرن الرابع

كان القرن الرابع الهجريّ من اوفر الازمنة خطرًا على السياسة الاسلامية ، وكان على ذلك اعظمها اثرًا في الثقافة والحضارة عند المسلمين . فهو من اعجب العصور ، يتجلى فيه التناقض بين الثقافة والسياسة .

فيه انحلت الدولة الاسلامية الكبرى الى دويلات ؛ وقد كانت من قبل تمتد من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ، من كاشغر الى السوس ، لا يقطعها المسافر في اقل من عشرة أشهر[1] . فاصبحت بعد ذلك اجزاء وممالك ، تغلّب على كل منها رئيس ، لا يصل بينه وبين الخليفة الا الاسم والخطبة . وغدا « الخليفة » في بغداد ظلًا حائلًا ، وسلطة كاذبة ، يفيض عنده المال حينًا حتى يعمّ ، وينقص حتى يفتقر هو نفسه الى ما يكفيه . عنده تحاك الدسائس ، وفي بيته تهيأ المؤامرات ، ومن حوله قواد وغلمان ، وامراء ، ووزراء ، لو عبثت

---

(١) المقدسي – « احسن التقاسيم » ط . ليدن . ص ٦٤ .

بهم ريشة الاديب وعبقرية الكاتب لخلقت مسرحية مضحكة مبكية ، ورسمت مهزلة فنية قاسية ، من اخصب ما انتج الادب ، واروع ما اخرج الفن . ولو انشأ السياسي الداهية رسماً لهـذه « السياسة » لكانت ابدع ما يخلد وينشر .

وفيه انتعشت الحياة العقليـة فأزهر الشعر والنثر ، وتوسعت علوم اللغة ، وبرزت الفلسفة الى ميدان الحياة ، وخرجت كتب الجغرافيا والتاريخ[1] . كأن النشاط الفكري لا يعرف يقظة الا حين يستيقظ الفساد السياسي ؛ او كأن الاحداث حين تعبث بالملوك والامراء والوزراء ، تتيح لارباب القلم ان ينشطوا الى التفكير والكتابة ، يجدون فيها ميادين قد تفتحت وابواباً قد انفسحت ، فتتنوع الرزق ، وكثرت المناصب . ومن اخفق في بغداد ، ولم يرج في الشام ، وجد في مصر ميداناً يضمه ولو الى حين . ومن اعتنق مذهباً او مبدأ ، نظر الى رقعة المملكة الاسلامية ، فاختار ملكه واميره ، وما هو إلا ان يشد اليه الرحال ، ويعقد عليه الآمـال . وازداد ارباب الفكر معرفة بالرحلة ، وثقافة بالسفر . وتنقل الفكر بين الممالك الاسلامية ، فحملت الى المشرق عقلية المغرب ، وانتقلت الى المغرب شاعرية المشرق ، وتعاون الشمال والجنوب على شيء من التبادل الفكري غير قليل .

*
**

السياسة في العصور الاسلامية

ولا يستطيع مؤرخ مهما أوتي من سعة النظر والثقافة أن يصدر حكماً شاملاً عـلى العصر ، لتعدد نواحيه وجوانبه ، واختلاف ثقافاته ومذاهبه ، وتنوع الحركات العلمية ، والفرق الدينية . ولكنه يستطيع ان يلمّ ببعض الفرق والحركات السياسية والنزاع القائم بينها فذلك جدّ ممتع وطريف . ونحن حين نتناول الشيعة نجد انها استعمرت رقاعاً واسعة ، وسافرت الى بقاع نائيـة ، حتى كان لها ملوك وامراء ، ساسة ووزراء ، يعملون لها وينا صرونها ؛ بعضهم

(١) انظر كتاب « الحضارة الاسلامية » لآدم متز – وترجمته العربية في جزءين .

يغلو ويشتد، وبعضهم يعتدل ويوفق في الاعتدال . فنشأت مدارس وجمعيات منظمة ، وغدا النزاع علنياً بين الشيعة واهل السنة ، كلف المسلمين ضحايا لا تعد، ونكبات لا تعوض . ولكنه خلف مع ذلك تراثاً ضخماً في الفكر ؛ لان المتنازعين تسلحوا بالوان مختلفة من السلاح كان اجلّها وانفعها هذه النظريات التي اخذوها من الثقافات الماضية والحضارات السابقة . اقتبسوا من يونان والرومان والفرس والهند ، وادخلوا ذلك في حديثهم وكتابتهم وتفكيرهم ؛ وطرقوا بها مواضيع شتى وانواعاً مختلفة ، لم تقتصر على حياتهم الخاصة فحسب، وإنما تعدتها الى اساليب الحكم، في الخلافة والامامة. ولكل فرقة فيها نظر.

اما الشيعة فترى — كما يقول ابن خلدون — « أن الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ، ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين ، وقاعدة الاسلام ، ولا يجوز لنبي إغفاله ، ولا تفويضه الى الامة ، بل يجب عليه تعيين الامام لهم ؛ ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر[1] . » وهم يعتمدون في دعم ذلك على نصوص بعضها جليّ ، وبعض خفيّ . ومنهم الغلاة الذين تجاوزوا حدوداً مرسومة ، وقوانين معلومة ، فأدخلوا مذاهب اخرى في مذهبهم ، واساليب غريبة في اساليبهم ، عالجوا بها المواضيع الدقيقة، ورسموا للحكم في المسلمين طرائق معينة ، وتعرضوا للسياسة في شكل غريب.

وابن خلدون يلخص هذه السياسة بقوله : « لما تبين ان حقيقة الخلافة نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا ، فصاحب الشرع متصرف في الامرين . اما في الدين فبمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتبليغها وحمل الناس عليها . واما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران البشري »[2] ويزيد على ذلك فيقول : « فاعلم ان الخطط الدينية الشرعية من الصلاة ، والفتيا ، والقضاء ، والجهاد ، والحسبة، كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة ، فكأنها الامام الكبير ، والاصل الجامع .

---

(١) « المقدمة » ص ١٠٦ .

(٢) « المقدمة » في الصفحة نفسها .

وهذه كلها متفرعة عنها ، وداخلة فيها ، لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر اصول الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ احكام الشرع فيها على العموم »[١].
وهكذا يقسم السياسة قسمين سياسة الدين والشرع وسياسة الدنيا . ولابن خلدون في السياسة الثانية عبارة شاملة جامعة يقول فيها : « اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل امراً ثقيلاً ، فلا بد له من الاستعانة بأبناء جنسه ، واذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه ، وسائر مهنه ، فما ظنك بسياسة نوعه ، ومن استرعاه الله من خلقه وعباده . . .[٢]» ولا نريد ان نستفيض في الاخذ عن الرجل ، فالمقدمة في متناول يدك تستطيع ان تقرأ ما كتبه في الموضوع ، لتستطيع ان تقابل بينه وبين ما يقول « المغربيُّ » في هذا الكتاب . وانك واجد اثر كاتبنا وأضرابه في « المقدمة » حين يقسم الوظائف السلطانية كما قسمها ، وكما اقتبسها كثير قبله ؛ فيتحدث عن الوزارة والحجابة والجباية والكتابة والشرطة والجيش في تفصيل جميل وبيان بليغ .

وابن خلدون لا يخفي هذا الاثر ، وانما يحيلنا على الكتب القديمة التي قرأها ، وليست قليلة العدد ، وليست بعيدة عن المتناول : فالقُدامى طرقوا الموضوع ، وكتبوا فيه ؛ ولكنهم كانوا تارةً يدخلونه في باب الادب ، وتارة في باب النصائح ، وطوراً في باب تهذيب الاخلاق . ألفوا فيه منذ القرن الثاني الهجرة ، اقتباساً عن جيرانهم ، او اختراعاً من عند أنفسهم ؛ فهم في فنون الحكمة ، والاخلاق ، والنصيحة ، والتهذيب ، من المجلّين ؛ وهم من البلاغــة بحيث يجملون في عبارة قصيرة وكلمة صغيرة ، ما يغني عن كثير لهذا صدرت كتبهم ، وفيها فصول قصروها على هذا الفنّ ، أو فرقوها في الابواب . ومن العسير حصر هذه الكتب أو تعدادها ، تجدها في كتب الجاحظ ، والأدب الصغير لابن المقفع ، والادب الكبير له ، وفي حكمه المتفرقة ، ورسائله المنثورة . وتجدها في رسائل عبد الحميد الكاتب ، وفي كتب ابن قتيبة ، وابن منقذ ، وفي كل ما أرسل الفرس من وصايا ونصائح ترجمها العرب القدماء .

(١) « المقدمة » ص ١٠٧ .

(٢) انظر تمام الفصل في « المقدمة » ص ١١٤ .

وتجدها كذلك في الموسوعات الكبرى كاخوان الصفاء، وصبح الاعشى، ونهاية الأرب، والأغاني، فإذا اجتمع بعض هـذه العبارات الى بعض كوّن فصلًا في السياسة، بل كتاباً في تدبير الملوك والامراء، ونصحهم، ووعظهم، لا يؤخذ عليه إلّا أنه متفرق العبارة، مشتت البحث، لا يجمعه الّا العنوان والموضوع العام، فلا يصلح كتاباً في «السياسة» قائماً بنفسه

على أنّ هناك كتباً كرسها أصحابها على السياسة خاصة، منذ القرن الخامس، ولكنها تختلف في طرق موضوعها، فبعضها يتناول السياسة الشرعية فحسب، وبعضها يتناول السياسة المدنية، وأكثرها يصل بين السياستين، ويوحّد بين الموضوعين. وكنا على أن نورد عدداً منها هنا، مما اخرجته المطابع لنبين اثر القرن الرابع وما قبله فيها. ولكننا رأينا ان لا نثقل على القارىء بالاسماء والعناوين، فجعلناها في قسم المصادر ختام الكتاب. وأما المخطوطة منها وهي قرابة مئة وخمسة وعشرين كتاباً في باب «التدبير والسياسة»، فسنكتفي بأن نحيل القارئ على مجلة المجمع العلمي العربي ففيها شفاء الغلة[1].

*
**

السياسة في القرن الرابع

على انه لم يصل الى علمنا ممن ألف في السياسة، خلال القرن الرابع الهجريّ الا اثنان ذكر احدهما حاجي خليفة[2] واغفل الثاني.

أما الأول فهو «الفارابي» توفي عام ٣٣٩هـ. — على ارجح الاقوال — في دمشق. والثاني «ابن سينا» توفي في همذان عام ٤٢٨هـ. وكلاهما كان شيعياً، وكلاهما كان معجباً بالفلسفة اليونانية عامة وبافلاطون وارسطو بصورة خاصة[3].

(١) كان من أكبر العون لنا في جمع هذه المصادر المؤرخون ابن النديم وحاجي خليفة وزيدان. وخاصة مقال جامع للاستاذ عبدالله مخلص في « مجلة المجمع العلمي العربي » لشهري تموز وآب من سنة ١٩٤٣ في المجلد [١٨] -ص [٣٣٩ - ٣٤٤].

(٢) « كشف الظنون » ج ٢ ص ٣٨.

(٣) انظر الكتاب الممتع الخاص بهذا الصدد للدكتور عمر فروخ « الفارابيـان » بيروت ١٩٤٤ في ٤٠ صفحة، وعنه اقتبسنا أكثر الآراء.

أما الفارابي فيدعوه القفطي: « فيلسوف المسلمين غير مدافع » ولكن في اسلوبه بعض الغموض لكثرة الايجاز في تآليفه ، وقد كانت كثيرة ، احصى بروكلمن (١٨٧) كتاباً[1] منها في الموسيقا ، والفلك ، والطب ، والتنجيم ، وفي النفس ، والسياسة ، والآثار العلوية . وأجمع آرائه تجدها في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » وهو يدين فيه بالنظرية الشيعية في الإمام.

أما « السياسة » التي ألفها الفارابي فهي تتمم كتابه السابق ، وترمي الى صلاح الفرد ، وتقسم المجتمع الى اقسام ثلاثة[2]: قوم هم فوقه ، وقوم هم اكفاؤه وقوم هم دونه . ويبحث فيها الخالق والموجودات ، ثم وصف هذه الطبقات الثلاث في شيء من الايجاز ، وقد سُمي « المعلم الثاني » بعد أرسطو المعلم الاول.

ونحن حين نحكم على هذه «السياسة» يجب ان نلخصها بايجاز ، وأن نعرضها عرضاً سريعاً ، متخذين عبارة المؤلف نفسه لهذا الغرض.

*
**

الفارابي قصد الفارابي من الرسالة ذكر قوانين سياسية على سبيل الايجاز والاختصار يعم نفعها على جميع طبقات الناس ، واليك الافكار الرئيسية فيها:

المقدمة إنّ من تأمل وجد طبقات الناس على ثلاث : ١ : من أهل طبقته . ٢ : من فوقه . ٣ : من دونه . وينتفع المرء باستعمال السياسات مع هؤلاء الطبقات الثلاث . فاما مع الأرفعين فلينال مرتبتهم . وأما مع الاكفاء فليفضل عليهم . واما مع الأوضعين فلئلا ينحط الى رتبتهم . وانفع الامور في استجلاب علم السياسة ان يتأمل احوال الناس ، وان يميز بين محاسنها ومساوئها . ولكل شخص قوتان: ناطقة ، واخرى بهيمية . ولكل واحدة منهما نزاع غالب . والبهيمية أغلب . فيجب أن يحتال للتمسك بالامر المحمود في رياضة نفسه .

(١) بروكلمن : «تاريخ الادب العربي» ج ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) « مقالات لبعض مشاهير فلاسفة العرب » - بيروت ١٩١١ - ص ١٨ - ٣٤ .

١ً – معرفة الخالق : إذا تأمل الموجودات وجد لها سبباً وعلة . وسبب الاسباب موجود وهو واحد ؛ ذلك هو الباريْ ، لا يلحقه شيء من الاوصاف والالفاظ لتفرده بذاته ، منزه عن أن يشبه صفة ما . والحي افضل من غير الحيّ . وافضل اجزاء العالم ما هو ذو نفس . والمكافأة واجبة في الطبيعة . ومتى اعتقد بمعرفة الباريْ وتنزهه ، ومعرفة رسوله وجد في صدره سعة وفي احواله استقامة . فاذا تيقن ذلك فينبغي ان يقدم على سياسة الاحوال بقلب قويّ ، ونيَّة صادقة .

٢ً – ما ينبغي ان يستعمله مع الرؤساء : واجب على المرء ان يستعمل مع من هو متصد لخدمته أن يكون ملازماً مواظباً على ما فوض إليه . ولا يخشى الملال ، خصوصاً مع الملوك . وان يكون مادحاً ، مقرظاً . فإذا كان اليه تدبير رئيسه فلا بدّ من تعريفه وجوه الصلاح ، وليتلطف ليصرفه الى الناحية التي يريدها عن سبيل الحكايات والحيل اللطيفة ؛ وان يكون كاتماً لاسراره . والرؤساء يعتقدون الإصابة في جميع مـــا يأتونه لكثرة مدح الناس لهم . واذا اعترض بينه وبين الرئيس حال لا يمكن صرف القبيح منه الّا إليه ، او الى الرئيس فليجتهد في صرف القبيح الى نفسه . وليتلطف في نيل المنافع من جهة الرؤساء ، وأن يكون أبدًا مظهرًا قناعة ورضا .

٣ً – ما ينبغي أن يستعمله مع أكفائه : والاكفاء لا يخلون من ان يكونوا أصدقاء أو اعداء ، أو ليسوا أصدقاء ولا أعداء . وفي الاصدقاء أصفياء فليدم ملاطفتهم ، وليكثر منهم . وفيهم اصدقاء في الظاهر ، فينبغي ان يجاملهم ولا يطلعهم على شيء من اسراره وعيوبه . وليجتهد في استمالتهم لعلهم يصيرون في رتبة الأصفياء . وليتعهد أحوالهم ، ويتفقد أقاربهم وعائلاتهم . اما الاعداء ذوو الحقد فينبغي أن يحترس منهم ، ويكثر الشكاية منهم الى الرؤساء ، ولينتهز الفرصة في اهلاكهم . وفي الاعداء الحسَّاد ، فينبغي ان يظهر ما يغيظهم في ذكر نعمه ، ويحترز من دسيستهم . وغير هذين من الناس النصحاء ، فليستمع اليهم ، وليظهر الحرص على ما يلقونه اليه . واما الصلحاء الذين يتبرعون

لإصلاح ما بين الناس ، فيجب ان يمدحهم على فعالهم. واما السفهاء فليستعمل الحلم معهم والسكون ليعرفوا قلة مبالاته بما هم فيه. وأما اهل الكبر والمنافسة فليقابلهم بمثله فاذا تواضع استضعفوه.

٤ً – ما ينبغي ان يستعمله مع من دونه : ومنهم الضعفاء المحاويج ؛ فاذا كانوا ملحين فلا يعطيهم ليتزجروا . والضعفاء الكاذبون فليكن معهم وسطاً من غير منع ولا بذل تام . والضعفاء الصادقون فليتعهدهم بالمؤاساة . واما المتعلمون ذوو الحاجة فليحملهم على تهذيب الاخلاق إذا كانوا من طبائع رديئة ؛ وليحثهم على ما يعود عليهم بالخير اذا كانوا من البلداء.

٥ً – سياسة المرء لنفسه : ينبغي أن يرجع الى خاصّ احواله فيميزها ، وليعمل على ما يعود بصلاحها. فليتأمل وجوه الدخل والخرج بان لا يخل شيء منها بدينه ومروءته ، ولا بعرضه . وليُعرف بالسخاء فيما ينبغي وحيث ينبغي. وليحرز الجاه ؛ فالجاه العريض يكسب المال . وليستجلب اللذات والشهوات بجاهه لا بماله . وليجتهد في كتمان أسراره وتحصينها ، ففيها سلامة من الآفات. ولا بد للمرء من المشاورة مع غيره فليستودعها ذوي النبل . فلينظر في أخبار المتقدمين والاستماع الى الاحاديث في السياسات اللائقة بذلك التدبير . وليستطلع أحوال البطانة اذا كان رئيساً ، وأن يطلب العلو على عدوه ؛ وان يقف العدو على فضله ويعلمه منه . وليتعرف أخلاق العدو وليجتهد في معرفة ما يقلقه ويضجره ، ففي ذلك ملاك الظفر.

الخاتمة : ثم يورد « الفارابي » من أقاويل الحكماء خاتمة فيها حكايات ونوادر وأمثال أكثرها عن أفلاطون في السياسة والتدبير والاخلاق.

*
**

ابن سينا

أما « ابن سينا » فقد عمل في خدمة المملكة ، فوزر لشمس الدولة في همذان ، ولما ثار الجند على «شمس الدولة» وحملوه على التنازل وتوفي بعدها ، اتهمه ابن شمس الدولة بالخيانة واعتقله ، ولكنه هرب . اشتغل ابن سينا الى جانب وزارته ، في الطبّ والفلسفة ؛ وأسرف في العمل للتأليف ، فاعتل فمات.

وهو يختلف عن الفارابي في أنه لم يهرب من المجتمع ولم يكن يكره لقاء الناس بل « انغمس في السياسة ، وغاص في حسنات المجتمع وسيئاته »[1] وكان منظماً في الفلسفة ، مبدعاً فيها ، حتى سُمّي « المعلم الثالث » بعد ارسطو والفارابي وكان أسلوبه رائعاً ، حبّبه الى القارئ ، وساعد على الشيوع والذيوع. وقد الف ابن سينا في مواضيع كثيرة : في اللغة والشعر ، والطب ، والرياضيات ، والمنطق والفلسفة . وألف كذلك في السياسة ، ويرى الدكتور فروخ أنه اقتبس سياسته من الفارابي ، ولكنه زاد فيها زيادات كثيرة من اختباره الواسع[2] . وللبرهان على هذا والموافقة عليه ، يجب ان نقارن بين الرسالتين ، وأن نرسم خطة ابن سينا ، كما رسمنا خطة الفارابي منذ قليل ، لننتهي الى الحكم عليها جميعاً ، متخذين هنا ، كما اتخذنا هناك ، الفاظ المؤلف نفسها وعبارته[3] :

المقدمة : لكل صنف حظه من المصلحة ، وقد فضّل الله عليه بمنّه . فضّل الله بين الصانع والمصنوع ، والمالك والمملوك ، والسائس والمسوس . وجعل الناس متفاضلين في الغنى والمرتبة والعقل . احق الناس بالسياسة الملوك ، ثم الذين يلونهم من أرباب النعيم ؛ واحوج الناس الى السياسة أصغرهم شأناً . ويستوي الملك والسوقة في الحاجة الى المسكن والزوج والنسل .

١ً — سياسة الرجل نفسه : أن يُصلح نفسه ، وان يعرف مساوئها معرفة محيطة ، وأن يستعين على ذلك بأخ لبيب يكون كالمرآة . وأحق الناس باصلاح انفسهم الرؤساء ، وليس الرعاع كذلك ؛ فهم يخالطون ويتعايبون . وفساد الملوك يأتي من قرناء السوء الذين يغشون بعشرتهم بالثناء الكاذب ؛ وبعضهم يخاف الملوك اذا نصحهم . وينبغي لمن يتعرف مثالبه أن يفحص عن اخلاق الناس ، ويقيسها باخلاقه ، وان يعد لنفسه ثواباً وعقاباً . وعقابها بمنعها من لذاتها حتى تلين له .

(١) « الفارابيان »—فروخ ص ٣٠ .

(٢) النص المذكور ص ٣٣ .

(٣) « مقالات لبعض مشاهير فلاسفة العرب » - بيروت ١٩١١ ص ٢ – ١٧ .

٢ – في سياسة الرجل دخله وخرجه : أصناف الناس في الحاجة الى القوت ، وانواع صناعاتهم ثلاثة . أولها من حيز العقل ، وهو حسن التدبير ، وهذا صناعة الوزراء والمدبرين ، وارباب السياسة والملوك . وثانيها : من حيز الادب وهو الكتابة والبلاغة وعلم النجوم والطبّ وهو صناعة الادباء . وثالثها : من حيز الأَيد والشجاعة وهو صناعة الفرسان . فليطلب معيشته بصناعة على أعف الوجوه ، وان يصرف بعض المال في الصدقات ، ويبقي بعضه لأحداث الزمان . فأما الصدقة فتخرج لمن يساتر الناس بفقره ، ولا يهتك ستر الله تعالى عن حاله . وأن يصغر شأنها وأن يحسن اختيار الصنيعة في موضعها وان ينفق بين السّرف والشح . وأن يُغضي في المواضع التي يخشى فيها شبه السرف ؛ فان من يمدح السرف من العوام أكثر ممن يمدح الاقتصاد . وان يدخر متى أمكنه ذلك خوفاً من مبادهة صرف الزمان ، فيصبح محتاجاً معدماً .

٣ – في سياسة الرجل أهله : إن المرأة الصالحة شريكة الرجل في ملكه ، وقيّمته في ماله ، وخليفته في رحله . وخير النساء العاقلة الديّنة الحييّة الرزان ؛ تجلو احزان زوجها بجميل أخلاقها . وجماع سياسة الرجل أهله الهيبة الشديدة ، تسمع لأمره وتصغي لنهيه . وليست هيبة المرأة بعلها شيئاً غير اكرام الرجل نفسه ، وصيانة دينه ومروءته ، وتصديقه وعده ووعيده . وكلما كانت المرأة اعظم شأناً كان ذلك أدل على نبل زوجها . وكرامة الرجل أهله على ثلاثة اشياء في تحسين شارتها ، وشدة حجابها ، وترك إغارتها . وشغلها المهم أن يتصل بسياسة اولادها ، وتدبير خدمها ، وتفقد خدرها .

٤ – في سياسة الرجل ولده : من حق الولد على والديه حسن اختيار ظئره لأن اللبن يعدي فإذا فطم بدئ بتأديبه بالترهيب والترغيب ، فان احتاج الى الاستعانة باليد لم يحجم عنه ، بعد الارهاب واعداد الشفعاء . فاذا استوى لسان الصبيّ أخذ في تعلم القرآن ، ومعالم الدين ، ورواية الرجز ، ثم القصيدة . ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب . وأن يكون المؤدب حاذقاً بتخريج الصبيان بعيداً من الخفة والسخف ، قد خدم سراة الناس ، وعرف ما يتباهون

به من أخلاق الملوك ، ويتمايرون به من أخلاق السفلة ، وعرف آداب المجالسة والمؤاكلة والمحادثة والمعاشرة . وينبغي ان يكون مع الصبيّ صبية من اولاد الجلّة[1] حسنة ادابهم ، فذلك انفى للسآمة ، وأحرص للصبيّ على التعلم ، والمحادثة بين الصبيان تفيد انشراح العقل ، فيترافقون ويتكارمون . واذا فرغ من تعلم القرآن وُجه لطريقه ، إما الى الكتابة واما الى أُخرى . وليس كل صناعة يرومها الصبيّ ممكنة له . والدليل على ذلك سهولة بعض الأدب على قوم ، وصعوبته على آخرين . فلذلك ينبغي لمدبّر الصبيّ أن يزن طبع الصبي أولًا ، ويسبر قريحته ويختار له بعد ذلك فاذا وغل في الصناعة عُرض للكسب ، وحُمل على التعيش منها ثم زوج .

٥ً — في سياسة الرجل خدمه : حاجب الرجل وجهه ؛ وغناء الخدم كثير ، ولولاهم لاضطر الى مواصلة القيام والقعود ، وفيه سقوط الهيبة ، فيجب ان يرفق بهم فانهم بشر . وان لا يتخذ خادماً الا بعد المعرفة والاختبار . ولينظر لأي امر يصلح . فلكل انسان باب من المعارف وفن من الصناعات ؛ فاذا لم يفعل أفسد نظام خدمته . ويجب ان يصح لدى الخادم انه شريك صاحبه في نعمته وقسيمه في ملكه ؛ وبغير ذلك يكون كعابر سبيل لا يُعنى بالامر ولا يهتم . وليكن دون صرفهم مراحل من الاستصلاح بالتأديب ؛ فان لم يرجع فالعقوبة . ومن عصاه معصية لا بقيا معها ولا في شرط السياسة اغتفارها فالرأي للصاحب البدار الى الخلاص ، وإلا أفسد عليه سائر الخدم .

*
**

الموازنة بين الرسالتين وهكذا بسط « ابن سينا » ما يحق على الرجل فعله في تدبير نفسه وما يشتمل عليه منزله ، وقد آثر التخفيف على القارئ « فلرب قليل اربع من كثير ، وصغير أتم من كبير » فاوجز في سياسة المرء نحو نفسه ، ونحو ماله ، ونحو زوجه ، وولده ، وخادمه . ونرى بمقارنة المعاني في الرسالتين أن « الفارابي » لم يتعرض بصورة خاصة الى سياسة المرء نحو

(١) العظام والسادة .

خدمه ، ونحو ولده ، ونحو زوجه ، ولعلّ مرد ذلك الى انه لم يتخذ اهلاً ولا خدماً فلم يعرض لتربية الولد وصحبة الزوجة ومعاملة الخادم كما عرض ابن سينا فجعلها عمدة سياسته ، وذلك لان ابن سينا كما يبدو في الرسالة أوسع في تفهم الحقائق الواقعية ، وأقرب الى الحياة العملية .

وقد اشتركا معاً في سياسة الرجل لنفسه ، وسياسته لمليكه ، وسياسته لدخله وخرجه ، ونظرته الى خالقه ، على ما بين الرجلين من طريقة في التعبير والتفكير ، والترتيب والتبويب . ونحن نرى ان أقربهما الى تحقيق غرض العنوان وبحث الموضوع هو ابن سينا . وربما كان ذلك لذكائه الفذ ، ودهائه النادر ، ومعرفته بالدنيا ، وتقلبه في المناصب . وقد أخذ اكثر ما أخذه عن الفارابي ، فرتبه ونظمه وبوّبه فجاء أقرب الى التناول وأبلغ في التعبير ؛ وهو صاحب منطق خاص ، يضع الحدود والتعريفات مواضعها ؛ وقد خبر الحياة ، وعمل في السياسة ، فلا بدع اذا تفوّق في المضمارين على استاذه الفارابي ، فقد كان عملياً وكان استاذه نظرياً . وتقسيم الناس الى رؤساء واكفاء ومرؤوسين أقرب عند الفارابي من الحكمة والفلسفة . أما ابن سينا حين فرّق الناس بين رئيس ومرؤوس فحسب ، كان اقرب من الواقع العملي . وخلاصة القول ان الفارابي صنع رسالة رمى فيها الى اصلاح المجتمع الذي عاش فيه فنظر اليه بمنظار الحكمة والفلسفة والمثل الأعلى ، وابن سينا صنع رسالته صورة لما في الحياة الواقعية التي يعيش عليها الناس ويعيشون أبد الدهر .

*
**

الوزير المغربي

هذان الرجلان وحدهما فيما يعلم الناس ألفا في السياسة وأرسلا في الموضوع رسالتين طبعتهما بيروت ، وقدمتهما مجلوتين منذ أربعين سنة تقريباً . وقد وقر في نفوسنا أن ليس غيرهما في القرن الرابع الهجري من المفكرين المسلمين مَنْ صَبغ تفكيره مثلهما بصبغة خالصة لا هي صبغة دينية صرفة ، ولا هي صبغة أجنبية صرفة ، وانما صبغة مستقلة ناضجة اللهم إلا « اخوان الصفا » . وما نحن في سبيل الحديث عنهم ، وعن نظامهم السياسي

فالناس يعرفون أنهم لا يرضون عن بغداد ولا عن القاهرة ؛ وأنهم في اكثر الآراء ، من غلاة الشيعة[١] ، بل لعلهم من الاسماعيلية . وهم قد تطرقوا الى الاخلاق والتدبير والسياسة ، وألموا بهـا الماماً لا يتصل بموضوعنا ولا يصح لمقارناتنا هنا .

أجل وقر في نفوسنا هذا حتى قرأنا في كتاب الاستاذ المستشرق بروكلمن « تاريخ الأدب العربي[٢] » الذي نشره عام ١٨٩٨م . أن في مصر كتاباً في السياسة للوزير المغربي لا يزال مخطوطاً في جملة ما تحوي دار الكتب المصرية .[٣] وبعد ما يقرب من ثلاثين عاماً كتب الاستاذ المرحوم احمد تيمور باشا مقالاً في « نوادر المخطوطات » ذكر فيه ان في مكتبته نسخة خطية من هذا الكتاب[٤] .

وقد عاش مؤلف هذا الكتاب ــ كما رأينا ــ في الثلث الأخير من القرن الرابع والعشر الثاني من القرن الخامس ، وهو كذلك شيعي متطرف ، وهو كذلك لم يرض عن بغداد ولم يسكت عن القاهرة ، وهو قد ألّف في السياسة بما يصح أن يوازن بينه وبين ابن سينا والفارابي .

وقد وقعنا على النسختين في القاهرة ، ولقينا العون الكريم من سعادة مدير الدار أمين مرسي قنديـــل بك وحضرات العلماء العاملين فيها لتصوير النسختين ونقلها ، فنشرنا عنها هذا الكتاب ، وجعلناهما مصدرًا . وقبل أن نصف النسختين نحب أن نعرض لموضوع الرسالـــة وأن نوجز عباراتها كما صنعنا مع السياستين ، لنصل النسب بما ألف في السياسة قبلها ، ولنعرف بُعـــدها عن الرسالتين أو قربها منها ، وموضع ذلك كله ، لنوازن بين السياسات الثلاث :

---

(١) « اخوان الصفاء » ، طبعة الزركلي بمصر – مقدمة الدكتور طه حسين . ج ١ ص ٦

(٢) « تاريخ الأدب العربي » بالالمانية GAL ج ١ ص ٣٥٤

(٣) « فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية » ، ج ٧ القسم الثاني ص ٥٦٥ سنة ١٣٠٨/ ١٩٢٩

(٤) « الهلال » – يناير عام ١٩٢٠ ، ج ٤ ص ٢٢٢

المقدمة : على من رسم رسماً في السياسة أن يجعله في غاية الاختصار ، لأن المقصود بفائدته العظماء . وأفضل ما في السلطان محبة العلم ، فهو من أعظم ما يتحبب به إلى الرعيّة . ونحن بتأملنا أخبار الاولــين نعلم آراءهم . والسياسات ثلاث : سياسة السلطان لنفسه ، ولخاصته ، ولرعيته .

١ ــ اصلاح السايس نفسه : من ذلك اصلاح بدنــه بتمرينه على القر والحر ، لأنه متى اتصل به النعيم بان أثر المشقة عليه ، وظهر الجور والعجز منه . ومن ذلك تجويد طعــامه ، واستمراؤه لئلا يكظ المعدة ، وأن يكون لوناً أو لونين متجانسين ، وأن لا يستوفي نهمته ، خوف الكظة . وأن لا يبلغ في الشرب آخر أمد السكر ، وأن يتعلل به ، ويفرد له يوماً خاصاً ، وأن يخلي المجلس إلّا من خاصة ندمائه . ويجب أن يسهر خوف حوادث الليــل . وأن يصطنع الحمام لتنقيــة بدنه ، وأن يعمد إلى الرياضة في قصد . وأول سياسة الملك تقوى الله وذكر نعمه ، والتعب في سبيل رعيته ، ورضا سلطان فوقه . ولا يؤخر عمل اليوم إلى الغد . وأن يجعل طاعة الخاصة والعامة له محبة لا رهبة . وأن ينجز الوعد والوعيد ، وليحرز فضائل النفس بالعلم والعفة والسخاء والشجاعة .

٢ ــ سياسة الخاصة : يجب أن يعتني باصلاح اخلاقها ، وهي له كالأعضاء للبدن . وأن يثقفها ، ويقوم زيغها ، وأن تكون له عين راعية تتفقد أحوالهم . وأن يستعمل معهم أربع خصال : الاحسان اليهم ، والعفو عنهم ، وأن لا تستقصى اذاتهم ، وأن يقبل أثقالهم . فأما كاتب الرسائل فيجب أن يكون بليغــاً ، والحاجب طلق الوجه ، والجابي ان يكون منصفاً متنصفاً . والقائد أن يكون شجاعاً ، وصاحب الشرطة ان يكون مهيباً جليلاً ، والحاكم أن يكون عالماً ، والمحتسب أن يكون أميناً ، والمختار للرسائل أن يكون حافظاً مقبولاً .

٣ ــ سياسة العامة : اصلاحها عسير لكثرتهم . فــالشدة والعنف لا تصلحهم ، واللين والمساهلة لا تجوز في معاملتهم . فيجب عليه معرفة طبقاتهم ، ومطالبتهم بالخدمة له ، والسعي إلى بابــه إلا من انقطع إلى الله ، واعتزل الكافة ، أو اختلط بالرعيّة فتبركت بدعائه ، ثم يبالغ في اكرام الأخيار ،

وقع الأشرار ، وقلع الظلم من اصوله ، وحفظ الأطراف وايمان السبل ، واستعمال العقوبة باللصوص ، والتعطف على الضعفاء ، والعدل في من بعد كمن قرب . وليتذكر وشي العمال والأصحاب . وليحسن مجاورة جيرانه في الممالك ، وأن يكرم الوافدين عليه من رسلهم ، وأن يتصنع بتفخيم مجلسه ، وأن يحرس من يدخل المملكة بضبط طرقهـا ، ويوكل فكره بالأخبار من ولي وعدو ، ومبلغ ما عندهم من عدة ، وما يتجدد لهم من عزيمة .

الخاتمة : يختم الوزير المغربي بوصية أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ليزيد بن أبي سفيان لما أنفذه على العساكر إلى الشام . فهي وصايا عجيبة ، وبلاغة بديعة ، كما يقول ، تدخل في صلب موضوعه ، ولكنه أخرج بعض ألفاظها من الغموض إلى ألفاظ يفهمها من قصد بهذه الرسالة من ولاة زمانه .

*
* *

الموازنة بين الثلاث

وهكذا بسط « المغربي » ما يجب على السلطان نحو نفسه ، وخاصته ، وعامته ، وقد أعلن في البدء والختام أنه موجز لان السياسة يجب أن تكون كذلك . ونرى في الموازنة بين الرسالتين الماضيتين وهذه الرسالة أن الثلاث اتفقت في نواح واختلفت في نواح . اتفقت جميعاً في تقوى الله ، وتذكر نعمه ، وجميل ذكره ، واختلفت فيما سوى ذلك . فالوزير المغربي لم يكتب رسالته للرجال بصورة عامة ، وانما كتبها برسم السلطان خاصة . فلم يتعرض للولد ولا للزوج أو للاسرة كما تعرض ابن سينا في تربيتهم وتهذيبهم وطريق معاملتهم . على أن صاحبنا تزوج وولد له ولد ذكره ابن خلكان فقال « ولما ولد للوزير المذكور ولده (ابو يحيي عبد الحميد) كتب إليه أبو عبدالله محمد بن احمد صاحب ديوان الجيش بمصر أبياتاً منها . . . [1] » .

ولم يتعرض الوزير كذلك للباري، الخالق كسبب الأسباب ، وموجد

(١) ابن خلكان ج ١ ص١٥٦ .

الموجودات ، ولم يتطرق إلى الحيّ وغير الحيّ ، ولم يذكر الأكفاء والنظراء كما فعل الفارابي . وهو حين عرض لسياسة الرجل نفسه اختلف عن الرجلين اختلافاً بيناً مع اتفاق العنوان في علاج الرجل نفسه . فقد عُني بذكر الطعام والرياضة والشراب والحمام واللعب ، وما شيء من ذلك في سياسة الرجلين ؛ ولكنه اشترك معهما في ذكر الدخل والخرج ، والحذر من العدو ، وكتمان الأسرار والسخاء ، واستطلاع احوال بطانته ، والوقوف على عدوه . وهذا الاشتراك نفسه قد وقع في نواح ضعيفة من الموضوع .

فالسياسة التي بين أيدينا لا تشبه كثيراً ما ألف في القرن الرابع ، على ان صاحبها عاش بين (٣٧٠ ه — ٤١٨ ه .) وانتقل الفارابي عام ٣٣٩ ه وتوفى ابن سينا عام ٤٢٨ ه . سبقه الفارابي وتخلف عنه ابن سينا ، فهم في ذلك متعاصرون .

والغريب أن الثلاثة من الشيعة مذهباً ، ومن غير العرب نسباً ، فكيف اختلف الوزير المغربي عنهما ، بحيث أباح لمليكه في رسالة علنية مكتوبة شرب الخمرة واللذات ؟ وكيف رسم هذه السياسة رسماً دقيقاً ؟ !

سنجيب على هذا السؤال في الفصل التالي بعد ان عرضنا لحياة مؤلف هذه الرسالة بشيء من التفصيل ، وحياة من كتبت له ، وقد فهمنا من وراء هاتين كيف استطاع المؤلف أن يكتب في السياسة السلطانية كتابة مجرب خبير عمليّ ، فهمَ أبواب السلطان ودواوينه ، وعرف سياسة المملكة ، داخلها وخارجها . فعرض السياسة في أسلوب متين أشبه بابن المقفع وأعلق بالقرن الثالث ؛ ومنهج يوافق ما يكتب في الموضوع لعصرنا ، وعبارة مشرقة بعيدة أشد البعد عما قرأنا من كتب السياسة التي وصلت إلينا مما ألف في القرن الرابع .

٣ ـ «السياسة» للوزير المغربي

هذا الكتاب

عرفنا ان الوزير المغربي ألف « مختصر اصلاح المنطق » قبل ان يبلغ السابعة عشر من عمره في مصر، وافترضنا ان اكثر كتبه اللغوية والتاريخية ؛ ألفها في مصر متأثرًا بالوسط الذي عاش فيه ، فجعلنا فيها راضين مختارين « علم الانساب » و« ادب الخواص ». غير اننا لا نستطيع ان نستخلص من عبارات «كتاب السياسة» التاريخ الذي ألف فيه هذا الكتاب، بالضبط والتحديد ، فليس في نص الرسالة الا علمان عربيـان اثنـان اولهما : « صاعد » ، وقد ألف في السياسة ، أو كتب في الصحة والرياضة . وثانيهما « ابو عليّ بن أبي الهيش » كانت تتبرك به العامة في عصره ولم نجد لهما ذكرًا فيما بين أيدينا من مصـادر . وليس في النسختين الخطيتين الوحيدتـين من الكتاب ما يدل على اسناد او تاريخ .

ولقد بسطنا القول من قبـلُ في القرن الرابع وفي كتب السيـاسة التي ألفت فيه ، وأفضنا في وصف حياة المغربي واسرته ، لننتهي الى ان الكتاب

الذي ننشر يصور العصر والرجل معاً . أما أنه يصور العصر ، فذلك لانه مزاج من تفكير فارسي[1] وحكمة يونانية في أسلوب القرن الرابع ، يصور الحضارة لهذا القرن ، ويبسط الاخلاق الذائعة في هذا المحيط . ولعلنا نذهب أبعد من هذا ، فنرى ان الكتاب ألف لاحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر ؛ فهو يرسم بيئته رسماً صحيحاً ، أقرب اليه من اي بلاط آخر . ففي الكتاب ان الملك يشرب الشراب ، « فيجب ان يجعل لنفسه وظيفة لا يتعداها ، فيتناول في اول مجلسه كئوساً وافرة توقد نار الطبيعة وتذكيها ؛ ثم يتعلل بعدها بما يستديم المؤانسة الى ان ينقضي وقت الشراب وهو ثمل طيب النفس . » وفيها : « ومن أصلح الرياضة اللعب بالصولجان » . وفيها : يتخذ الملوك « اللذات في اوقات لا تخلّ بأشغالهم فيجتمع لهم الامران . . . ولا طريق له الى اللذة الا بمقدار ما يحمي نفسه في اوقات يسرقها من زمان شغله . »

وما يعده المغربي من السياسة نراه في حياة ملك ميافارقين ، فانه يتصف بما يتطلب الوزير من السياسي فقد وصفه ابن خلكان بأنه : « عالي الهمة ، حسن السياسة ، كثير الحزم ، قضى من اللذات ، وبلغ من السعادة ما يقصر الوصف عن شرحه . وانه لم تفته صلاة الصبح عن وقتها مع انهماكه في اللذات . وانه قسم أوقاته ، فمنها ما ينظر فيه في مصالح دولته ، ومنها ما يتوفر فيه على لذاته ، والاجتماع بأهله والزامه . »[2]

ولعل المغربي لو سلك في وصف السياسة غير هذا المسلك ، او تطلب الى السياسي غير هذا لاخفق في كتابه ، وما هدفه الا رضا من أحسن اليه ، ووقوع الكتاب من نفس الملك بحيث يتفق وهواه .

وميافارقين تكتنفها الدول ، ولاحمد بن مروان سلطة فوقه يجب ان يرضيها ، وله أعداء من الروم يرقبونه فيجب ان يتصنع لهم بالهيبة . فكأن الكتاب وصف لحالة الملك وما ينبغي له ، وما يمدحه به وما يستحسنه عنده .

---

(١) ستجد في الرسالة أنه نقل حكمه ووصاياه عن أزدشير بن بابك من سلالة آل ساسان ، وذكر اسمه صراحة بالنقل عنه .

(٢) « وفيات الاعيان » ج ١ ص ٥٧ .

وقديماً ألف كثير من كتابنا في نصح الملوك ، وألف قبلهم الفرس واليونان في نصح ملوكهم واسداء الحكمة اليهم .

وقد وضع الوزير المغربي في كتـابه هذا زبدة تجـاربه وخلاصة آرائه ، ومجمل ثقافته ، وملخص قراءاته الواسعة ، وكتابه يدل على نضج عقله وعلمه، فقد بلغ من السن ما يسمح له بمثل العقل والحكمة الشائعين في الكتاب . ولا شك في انه قرأ ولخص كثيرًا ؛ وابن شداد يقول في الوزير: « انه وقف بميافارقين خزانة الكتب المعروفة الآن بخزانة المغربي . »[1] . فأنت تستطيع ان ترد بعض الحكم فيها الى آراء أرسطو وأفلاطون، ونصائح ازدشير بن بابك ، وغير هؤلاء من حكماء ووعاظ وفلاسفة ، وهي دلائل ناصعة على سعة الرجل في المعرفة ، وطول باعه في القراءة .

وتستطيع ان توازن بين تعـابيره وما خلف ابن المقفع وعبـد الحميد الكاتب ، وتستطيع كذلك أن توازن بين جمله وجمل أبي حيـان التوحيدي او الخوارزمي والصابي ، فانك واجد عنده صورة مجتمعة لهؤلاء متفرقين . فيها سجع غير متكلف ، ومزاوجة في الجمل ، وطباق في بعضها ، وفيهـا المجاز بليغ ، وكلمات جامعة ، فهي من الفصاحة بحيث لا تختلف عن رسائل البلغاء الاعلام . وفيها من البلاغة بحيث تقف لاروع ما كتب الكاتبون ، وأرسل الناثرون . ولن نستغرب قول الثعالبي فيه : « وكان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثرًا ، ويجاذبه طرفيها . »[2] فتعابير الوزير وتشبيهاته ملوكية .

وفي الرسالة على هذا وذاك ما يحير ويدهش اذ تيسر لعصره،وهو إحكام تقسيم الموضوع ، ودقة توزيعه ، فالاقسام الثلاثة فيهـا متساوية في الطول ، والابواب متناظرة ، والوحدة في الموضوع تسير منذ البدء حتى الختام ، لا تتغير ولا تتبدل . فهي على انها تمثل النثر في القرن الرابع ، تستطيع ان تضعها من حيث المنهج والهدف في القرن الرابع عشر .

ونظن ان الساسة عندنا سيقبلون على قراءتها ، ففيها جدة وطرافة، وفيها

---

(١) « الاعلاق الخطيرة » مخطوطة برلين الورقة ٥٨ و .

(٢) « تتمة اليتيمة » ج ١ ص ٢٥ .

فهم وعمق للسياسة ، تطّرد مع العصور ، وتسير مع الاجيال ، وتبقى خالدة أبدًا في موضوعها

*
**

سبب النشر

حين فكرنا في نشر هذا الكتاب أردنا ان نفي ديناً علينا للقرن الرابع ، الذي وقفنا عليه جهدنا ، شعراءه وكتابه ومؤرخيه ، نوفي كلًّا منهم حقه في النشر الصحيح العلميّ حتى يستوي على سوقه . وحين تعرضنا للمغربي أردنا ان نلبي نداء العصر الحمداني ، وقد خطونا مع فارسه الشاعر « ابي فراس الحمداني » خطوة متواضعة في نشر ديوانه ، فلا علينا ان ننشر لهذا السياسي الذي خُصَّ جده بسيف الدولة الحمداني ، وخصَّ ابوه بسعد الدولة الحمداني ، وعبث هو ببقايا هذا الملك الحمداني نصره طورًا ، وخذله طورًا ، فسجل صفحات في تاريخه لا تخلو من نقد ولا تخلو من تقدير .

ونحن حين نعمل لهذا « الكتاب في السياسة » انما نصيخ السمع الى هذا النداء الحق يرسله صديقنا المستشرق في صدر ترجمته للسياسة الشرعية عن المؤلف ابن تيمية(١) حيث يقول :

« وبعدُ ، كم نتمنى ان تكون لدينا في تاريخ الفكر السياسي الاسلامي للعالم المسلم أثار تضارع ما قدم « كيركه » و « كارليل » في تحليلهما للمسيحية في القرون المتوسطة ، كي نتمكن من توسيع الدراسات المقارنة التي لا تجلب إلا نتائج خصبة خيّرة . »(٢)

وحين يقول : « ويبدو لنا ، غالباً ، ان هناك فائدة حقة في التوجه الى المسلمين الاكفاء . نسألهم عوننا في السير بخطى أولى الى معرفة ألوان تفكيرهم ، وطرق فهمهم للمشاكل ، وأساليب تسآلهم عنها ، وحلّهم لها . »(٣)

أجل نستجيب الى هذا النداء في فخر واعجاب بهذا المؤلف المسلم الذي

---

(١) « السياسة الشرعية : الترجمة الفرنسية » – هنري لاووست – بيروت ١٩٤٨ .

(٢) الترجمة ص ١٠ من المقدمة .

(٣) الترجمة الفرنسية ص ١١ من المقدمة .

حبّر في القرن العاشر للميلاد مبادئ في « السياسة » تقف لسياسات القرن العشرين وتفضلها بالصدق والصراحة والوفاء .

*
**

طريقة النشر

قلنا انه لم يصل الى علمنا من نسخ هذا الكتاب الا مخطوطتان في القاهرة . ذكر الاولى الاستاذ بروكلمن وذكر الثانية الاستاذ احمد تيمور باشا . وها نحن أولاء نصفهما بايجاز :

١ ـ نسخة م : وهي في مكتبة مصطفى فاضل ، وقعت بين مجاميعه ضمن مجموعة خطية نقلت الى دار الكتب المصرية فيما نقل من مكتبات عامرة . وقد ورد ذكرها في الفهرست القديم (قسم المجاميع تحت رقم ٧٧)[1] . وفيها احدى عشرة رسالة في المواعظ ، والتاريخ ، والتصوف ، والفقه ، ومواضيع مختلفة . وبين هذه الرسائل رسالة الوزير المغربي ، جعلت في باب التاريخ ، وتقع رابعة في الترتيب ، وتحتل من المجموعة من اثناء الورقة ٥١ الى ٥٦ اي احدى عشرة صفحة وحجمها (١٥ سم × ٢١ سم) في كل صفحة منها ٢١ سطراً ، بخط دقيق قديم وورق عتيق .

٢ ـ نسخة ت : وهي في مكتبة تيمور باشا ، ضمتها « دار الكتب المصرية » كذلك فيما ضمت من خزائن طلعت وزكي باشا والشنقيطي ومصطفى فاضل . جعلها العلّامة المرحوم في باب الاجتماع ، ورقمها (٦ اجتماع)[2] . في ١٧ صفحة (١٦ ½ سم × ٢٥ سم) في كل صفحة ١٩ سطراً . وقد كتبت بخط حديث منقولة عن النسخة الاولى من غير شك لانها تصور تصويراً دقيقاً النسخة الاولى وتنقل نقلاً حرفيًّا اميناً . وهي على ورق حديث .[3]

وهاتان النسختان تتفقان في الخطأ والصواب ، وتتساويان في التحريف والتصحيف كأنهما صورة شمسية لأصل فقد ، ونسخة ضاعت ، لم تصل الينا .

---

(١) « فهرست الكتب » ج ٧ ص ٥٦٥

(٢) ما يزال الفهرس في أكثره مخطوطاً يرجع اليه الباحثون في جزازات لم يصدر منه إلا ثلاثة اجزاء .

(٣) لعلّ المرحوم تيمور باشا نقل هذه النسخة وأعدها للنشر ، ولكن المنية عاجلته

والمخطوطتان خاليتان من ذكر التاريخ ومن اسم الناسخ وبلده، ومالك النسخة وقارئها. ولم نهتد الى دلائل تعيننا على تعيين شيء مما يجب في مثل هذه الاحوال من تحقيق المخطوطات ودراستها عن الورق والخط والجلد.

وعنوان الكتاب وخاتمته في النسختين متشابهان متفقان. على الوجه الاول منهما: «هذا كتاب في السياسة للوزير الكامل[1] ابي القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ رحمه الله.».

ولن أعمد هنا الى وصف النسختين في تفصيل على عادة الناشرين، فأصف الخط والنقط وشكل الحروف والخطيئات ونوعها وسببها. وانما احيل القارئ الكريم الى النموذجين اللذين أنشرهما في تضاعيف هذه الطبعة فهما يمثلان الصفحتين الاولين من كل نسخة. فيحكم بنفسه على كتابتها وخطها.

ولكنني لن أنسى الالماع الى الاخطاء الفاحشة التي تفشت في سطور المخطوطتين، والتصحيف الفاضح الذي يمسخ عبارات الرسالة، ويجعلها من الصعوبة بحيث تغمض على القارئ الا بعد مرات متكررة. وهذا في نظري مرد تأخرها في النشر والذيوع على فضلها بين شبيهاتها واسبقيتها بين أخواتها.

ومن يعمد الى المخطوطات فينشرها يجب ان لا ترهبه الأخطاء وان لا يخيفه المسخ وان يعوّد نفسه على التخمين في القراءة، والتخيل حين تحرير النص واصطناعه. وهاتان المخطوطتان تتفقان في الدلالة على عبقرية الناسخين في التصحيف والمسخ. وفي الحواشي براهين كثيرة على ما كانت عليه النسخة قبل التحرير والانشاء، توضح قولنا وتشفع لنا في الاعتذار عن صعوبة نشرها والاشفاق مما نترك من اخطاء فيها، لم يكن لنا حيلة في ردها.

وقد قرأنا كل ما اتصل بالسياسة قبل القرن الرابع وبعده، وكل ما اتصل بالحكمة والأدب مما وصلنا اليه، فقابلناه على ما عندنا، وصححنا عنه، وصوبنا به. وقد قرأنا كذلك المخطوطات التي تتصل بحياة الوزيرالمغربيّ

قبل تحقيق أمنيته، ولعله كان يريد ان يصنع لها كما صنع بشبيهتها «في السياسة لازدشير بن بابك الملك» وقد طُبعت في «رسائل البلغاء» منذ عام ١٩١٢ م. [ص٢٩٩ – ٣٠١].

(١) ذكرنا أن «دمية القصر» روت: «أنه كان يلقب بالكامل ذي الجلالتين»

وأسرته ، والدور الذي قامت به في الممالك الاسلامية للقرن الرابع . ونشرنا من نصوصها ، في فصل خاص ، ختام الرسالة ، ما يصور سياسة الرجل وأدبه وشعره ، مما وصلنا إليه من مخطوط ومطبوع ليكون ذلك للقارئ مرجعاً سهلاً ، ودليلاً قريب التناول .

وقد حاولنا جهدنا أن لا نغير من حروف الرسالة وكلماتها ، وانما قلبنا وجوه القراءة حين التصحيح ، متقيدين بما تحت أعيننا ، كأن المؤلف رسم النسخة بيده . ثم استعرضنا ألفاظ العصر وألفاظ الكاتب نفسه في تصويبها، احتراماً للسياق والاسلوب . ولم نزد على ترتيبها ما يغير وجهها الأول الذي كتبت عليه، إلا ما تقتضي الطباعة الحديثة من وضع الفواصل والنقط ، وتفريق ما بين السطور ، وتحويل الرسالة إلى مقاطع ؛ لكل معنى مستقل . وأوجزنا في التعليق ثقة بالقارئ وبعداً عن الاملال ؛ معتمدين — عدا المصادر المذكورة في فهرسها — « لسان العرب » و« القاموس » في شرح الكلمات شرحاً لغوياً صرفاً . وسنكتفي في الحواشي بتصحيح المحرف والمصحّف من غير اسهاب أو تعليل . اما الارقام المرسومة في جوانب النص فتعيّن ورقات المخطوطة «م» التي اتخذناها اساساً وأصلاً .

وقريباً تصدر الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب على يد الأستاذ لاووست فيستطيع الغربيون أن يعرفوا أثر الوزير المغربي في ما ألف أجدادهم من كتب في السياسة والتدبير ، وما للعرب من دين عندهم في الثقافة والفكر .

ونحن اذ نتقدم بهذا الجهد المتواضع إلى البلاد العربية التي طافها المغربيّ جميعاً في القرن الرابع وشغل صفحاتها حيناً من زمن ، نرجو أن نعيد اليها سياسيَّها البارع لعلها تفخر بأسلوبه الفذ وذكائه النادر .

وما نعمل إلا في سبيل اللغة والوطن جاهدين . والله من وراء القصد ، له الحمد والشكر والمنة .

سامي الدهان

دمشق الشام { يوم السبت في ٦ ذي الحجة ١٣٦٧
الموافق ٩ تشرين الاول ١٩٤٨

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

م : نسخة مكتبة مصطفى فاضل باشا في دار الكتب المصرية
[رقم : ٧٧ مجاميع]

ت : نسخة مكتبة أحمد تيمور باشا في دار الكتب المصرية
[رقم : ٦ اجتماع]

الاصل : يرمز إلى مجموع النسختين معاً .

ر : تاريخ ابن الأثير — طبعة أوربة .

و : وجه الورقة من المخطوطة .

ظ : ظهر الورقة من المخطوطة .

[ ] : ناقص في النسختين ، رأينا إضافته اتماماً للسياق .

ص : صفحة الكتاب المطبوع .

ج : جزء .

(وفي فهرس الكتب والمصادر بيان بالمختصر من أسماء الكتب وعناوينها)



لوحة رقم ١

كتاب هذا في السياسة للوزير الكامل
أبي القسم الحسين بن علي المغربي
رحمة الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم



لوحة رقم ٢





« وكذلك سَيَدُنا وَلَّدَ من سحر المتقدمين حكمةً »
« للحُنَفاء المُتدَيِّنين . . يجمع بَيْنَ اللَفْظِ القليلِ »
« والمَعْنى الجليل . . »

« **المعري** » – في الحديث عن المغربيّ –



بسم الله الرحمن الرحيم

حقٌ على من رسم[1] رسماً في السياسة أن يجعله في غاية [١ ظ] الاختصار، لأن المقصود[2] بفائدته العظماء؛ وهم مخصوصون بكثرة الاشغال والتسرع إلى الملال[3]. على أن أفضلَ ما في الناس عموماً، وفي السلطان خصوصاً: محبَّةُ العلم، والتشوقُ إلى استماعه، والتقريبُ لحملته[4]. فان ذلك دليلٌ على قوة الانسانية، ومن أعظم ما يتحبب[5] به إلى الرعيَّة. ثمَّ فيه، مع ذلك، استعراض للتجارب، واستعداد[6] للنَّوائب، اذ كانت أخبارُ الأوَّلين تدلُّ على آراء تجلَّتْ لهم أوائلُها، واحتجبتْ عنهم عواقبُها. ونحن بتأملنا ما آلت إليه أمورُهم، وأثمرَ لهم

(١) رسم – هنا – بمعنى كتب، والرواسيم كتب كانت في الجاهلية.
(٢) ت، م: «المقصد».
(٣) في النسختين: «الضّلال» وهي لا تنسجم مع النص فوضعنا: «الملال»
(٤) ت، م: «لجملته».
(٥) ت: «ما يتحبب».
(٦) ت، م: «والاستعداد».

تـدبيرُهم ، نعلمُ من آرائهم : الأول والآخر ، والهوادي[١] والصدور .

* * *

والسياسات ثلاث[٢] : سياسةُ السلطان لنفسه . وسياسته لخاصته[٣] . والثالثة لرعيته .

[٢ و] فالسائسُ الفاضل إنما يُصْلِحُ نفسَه أولًا . ثم يصلح بسياستها خاصَّتَه ؛ وما يحملها عليه من الآداب الصالحة لرعيته . فينشأ الصلاح على تدريج وتسود[٤] الاستقامة على تدريج .

(١) في هامش ت : « لعله البوادي » .
(٢) في الأصل : « ثلاثة » .
(٣) في الأصل : « وسياسة الخاصة » .
(٤) في ت : « وسوء » — م : « وسوالا الاستقامة » .

باب
إصلاح السايس نفسه

فمن اصلاح نفسه : إصلاحُ بدنه ؛ لأنه كالقالَب[1] لنفسه، والوِعاء[2] لجنسه .

وأول ما يلزمه من اصلاح جسمه تمرينُه على أذى[3] القرِّ والحرِّ ؛ فإنَّ الانسانَ في هذه الدنيا على جناح سفر، وبإزاء غَرَرٍ[4] وغِيَر . والرئيسُ متى اتصل نعيمُه ، ورَقَّ أديمُه بان أثَر المشقة عليه، وظهر[5] الجورُ والعجز منه .

***

ومن مصالح الجسم تجويد صنعة الطعام ؛ فانَّ استطابةَ المأكل تقوّي الطبيعة على الاستمراء[6] والهضم، وبالضد .

(١) القالِبُ والقَالَبُ : الشيء الذي تفرغ فيه الجواهر ليكون مثالاً لما يصاغ منها . (من اللسان) .

(٢) الوِعاء والوُعاء : ظرف الشيء والجمع أوعية (من اللسان) .

(٣) في ت : « اذاء » ولعله فيها : « أذاة » – وفي اللسان : أذًى وأذاةً وأذيّة .

(٤) الغَرَرُ – محركةً – : الخطر .

(٥) م ، ت : « وظهور الجور » .

(٦) مَرُؤَ الطعام ومَرَأ ومَرِئَ : صار مَرِيًّا أي أصبح هنيئاً حميد المغبة . واستمرأه وجده مريًّا .

و[عليه][١] أن لا يتناول منه شيئاً إلا بعد استمراء ما أكلهُ[٢] قبله، ونقاء المعدة منه.

وقال لنا «صاعد»[٣]: استعمل الرياضة اللائقة بك، ولا تَكُظَّ[٤] المعدةَ، وقد أمنت الأمراض كلها.

ومن الحكمة في الغِذاء أن يكون لوناً أو لونين متجانسين فإنَّ اختلاف الألوان يؤدي إلى سوء الاستمراء. ويجب أن يعتمد[٥] الحكيمُ على ذلك؛ ويوفر غيرَه، مما تُزَيِّنُ بهِ الموائدُ، على ندمائه وجلسائه.

ومن الحكمة فيه أن لا يستوفيَ نَهْمَتَهُ[٦] كلّها منه حتى يملأ المعدةَ؛ لأن الطعام إذا بدأ بالنُّضج رَبا وانتفخ، فإن لم يجدْ في تجويف المعدة متَّسعاً أعقبَ الكظَّةَ[٤].

* * *

ومن الحكمة في الشراب أن لا يبلغ الحكيم منه مبلغاً،

---

(١) ناقصة في النسختين رأينا اضافتها.

(٢) ت: «مآكله».

(٣) لم نجد له ترجمة، فيما بين أيدينا من مراجع تنطبق على العصر والموضوع بالضبط، غير أن في «معجم الادباء» علمين من اقرب ما وجدنا الى الاخذ به. أولهما: أبو العلاء صاعد بن المحسِّن الصابئ، توفي أبوه سنة ٤٠١ هـ. وثانيهما: صاعد بن الحسن البغدادي، روى عنه «ابن سيده» المتوفى سنة ٤٥٨ هـ.

(٤) الكِظَّةُ: البِطنَةُ – كظَّه الطعام يكُظُّهُ: إذا ملأه حتى لا يطيق على النَفَس (اللسان).

(٥) في الأصل: «يتعمد» وقد تكون محرَّفة عن: «يتعود» أو لعلها كما صوبنا.

(٦) النَّهَم – محركة –: افراط الشهوة في الطعام – والنَهْمَة: الحاجة، وبلوغ الهمة، والشهوة في الشيء.

يزيل العقلَ ويُصدئ[1] الذهنَ . بل ما يُكسِبُ هِزّةً وأَرْيَحيَّةً[2].

وأقبح ما بالسلطان أن يبلغ آخر أَمَد السكر ، فيبقى سلطانُهُ ، في ذلك الوقت مهملاً . بل يجعل لنفسه وظيفة[3] ، يتعلل[4] بشربها ، ولا يتعدّاها . ويتناول منها في أول مجلسه كؤوساً وافرةً ، توقد نار الطبيعة وتذكيها . ثم يتعلَّلُ بعدها بما يستديم المؤانسة إلى أن ينقضي وقتُ الشراب ، وهو ثَمِلٌ[5] ، طيب النفس ، غير زائل العقل . وليحذر النهوض[6] عن مجلسه وقد انهتك السِتْرُ[7] بينه وبين خدمه وحاشيته .

[٢ ظ] ومن الحكمة في الشرب إغبَابُه[8] ، وإفرادُ يوم له ليتناوله على جَمَام[9] له ، ونشاط إليه ، فتتوفر لذته ، ويكون أكثر زمانه لما يهمه .

---

(١) الفعل على وجهين : صدِئ يصدأ ، وأصدأ يُصدئ — والصدأ الطَبَع وهو الوسخ يركب الحديد ؛ وفي الحديث : « ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد » . (اللسان) .

(٢) ت : « اريحة » — والأَرْيَح الواسع من كل شيء ، والاريحي الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . والأريحيَّةُ : خفةٌ وهَشَّةٌ .

(٣) الوظيفة : من كل شيء ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو شراب . (اللسان) .

(٤) العَلَل : الشرب بعد الشرب — وتعلَّل بالأمر : تشاغل به .

(٥) الثَمَلُ — محركةً — : السُكْرُ ، وثَمِلَ كفَرِحَ فهو ثَمِلٌ .

(٦) في الأصل : « النهض » .

(٧) السِتْرُ : واحد السُتُور ، والخوف ، والحياء .

(٨) ت : « اعباءه » — م : « اعباه » ولعلها إغبابه ؛ والغِبُّ : ورد يوم وظمء آخر ، أي أن لا يكون كل يوم .

(٩) في الأصل : « حمام » — والجَمَام — بالفتح — : الراحة .

ومن الحكمة فيه إخلاء المجلس له، إلا مِن أخص النداماء [و]قد اطُّرِحت[1] الحشمة معه؛ وأن لا يحضر خدمته إلا العدد اليسير الذي لا يستغنى عن خدمتهم.

* * *

والصبر على السَّهر من أشرف صفات الملوك؛ وغلبة النوم من أدونها[2]. ويجب أن يسهر ربع الليل الأوَّل، ويستيقظ وقد بقيت منه بقيةٌ صالحة؛ وأن يستعين بنوم النهار، لأنه لا يخاف من طروق حوادثه، وفوت تلافيها. [و]مما يخاف من حوادث الليل جلب الحوادث الهائلة؛ ولذلك وُجد في الحيوان المخلوق للحراسة، كالكلاب والإوَزّ[3]، طبيعة السهر.

* * *

ومن حفظ الصحَّة الحمّام. وفيها استفراغ فضول الأطعمة والأشربة. والملوك الى ذلك أحوجُ مِن الرعيّة؛ لأنّ الرعيَّة تنفي ذلك عنها بالحركات والصنائع الشاقة.

ومن احتاج إلى تنقية بدنه من الفضول بالحمّام، فليدخل البيت الثالث، بمقدار ما تحتمله طبيعته. ثم يصب على جسده

(١) اطَّرَحه وطَرَّحَهُ: رَمَاهُ وأبعده.

(٢) في القاموس: «ولا يقال رجلٌ دونٌ ولا ما أدْوَنَهُ» — وفي اللسان: «ولا يشتق منه فعل».

(٣) الإوَزُّ: مثل خِدَبّ القصير الغليظ، والبَطّ.

بعده ماءً فاترًا ، ليجفف المسامّ[1] ، ويرد الحرارة الى قعر البدن ويمنع من كثرة التحلل .

واذا خرج منه فليحذر ، كل الحذر ، مبادرة الأكل والشرب إلا بعد استراحة ونومة ، يُسَكّنُ بها ما عرض في بدنه من التموج والاضطراب ؛ فإنّ ذلك خطرٌ ، وجالبٌ لكثير من العلل .

***

والرياضة من أعون الأمور على حفظ الصحة ، فلتكن أمرًا قصدًا[2] ، وبحسب العادة والاحتمال . ومن أصلحها للملوك اللّعب بالصَّوْلجان ؛ لأنه مع الرياضة تخفيف للحركات ، وتعوُّد للمثاقفات[3]

***

فأول سياسة الملك لنفسه : استعمال تقوى الله تعالى ؛ وأن لا يخلي وقته[4] من ذخيرة يَدَّخِرُها بينه وبين ربه . ثم الاكثار من تذكر نعمة الله عليه ؛ في أن رفعَهُ وخَفَضَهم ؛ وملَّكَهُ تدبيرَهم ؛ وفضَّلَهُ عليهم . فليواصل[5] حَمد الله تعالى

(١) م ، ت : « ليخفف » ولعلها كما صوبنا – والمسَامُّ : ثُقبُ الجسد .

(٢) م ، ت : « فليكن » - والقصد : ضد الإفراط كالاقتصاد .

(٣) في الأصل : « للمناقشات » – والمناقشة في القاموس : الاستقصاء في الحساب . ولكننا نحسب أنها مصحفة عن « المثاقفات » — وثقف : غلب في الحذق ، وثاقف : لاعب بالسلاح .

(٤) في الأصل : « وقتًا » .

(٥) في الأصل : « فيواصل » .

عليه، ويجعل من مجازاة[١] نعمة الله عليه العدلَ فيما ولّاه؛ والاحسانَ إلى من استرعاه؛ والسهرَ لنومهم؛ والتعبَ لحراستهم.

[٣و] وأن لا يظن أن غرض الوالي تحصيلُ الراحة والدَّعة، بل هو أحق الناس بالتعَب، وأولاهم بالنَصَب.

واللذات[٢] إما مباشرةٌ للأعمال[٣] ببدنه، أو تفكرٌ فيما يقلبه. والسائس الفاضل لا راحة له بالحقيقة، ولا طريق له إلى اللذة، إلا بمقدار ما يحمي نفسَه في أوقاتٍ يسرقها من زمان شُغْله. فيجب أن يوازن بها ما يتعوضُه عنه من جميل الذكر، وجليل الذُّخر، ثم رضا سلطان له، إن كان فوقه. ولا رتبةَ أبْهَى من رتبة العزّ؛ ولا زينةَ أجلُّ من زينة المقتدر النافذ الأمر؛ ولا حليةَ أحْسَنُ من حلية الثناء والشكر.

فهذه لذاتُ الساسة الحكماء، وأعوَاضُهم[٤] من الكدّ والعناء. [وَإنْ] هم[٥] حفظوا الأصول فقد ينالون الفروع، التي هي اللذات، في أوقات لا تخل بأشغالهم، فيجتمع لهم الأمران.

*
* *

---

(١) ت، م: «من مجارات».

(٢) م: «والفات» وهي غامضة فيها.

(٣) في النسختين: «مباشرة الاعمال» – «تفكرًا فيما يقلبه».

(٤) العِوَض: الخلف والبدل جمعها أعْواض.

(٥) في الأصل: «ثم حفظوا» فافترضنا ما ترى في النص من قرب الرسم بين (هم) و (ثم) واضفنا ما أضفنا للسياق.

ثم ليحذر[1] كل الحذر من تأخر عمل يوم إلى غد . فان لكل وقتٍ شغلًا . وهذا الخلق مِنَ المُدَافَعَات[2] بالمهمات أدهى[3] الدَّوَاهي ، التي تَتَابعَ لها الخلل ، وانهدمتْ لها الدُّوَل .

ثم ليجتهد ان يجعل طاعةَ الخاصةِ والعامةِ لهُ طاعةَ محبة ، لا طاعة رهبة[4] . فاذا أطاعوه محبةً حرَسوه . وإذا اطاعوه رهبة احتاج الى الاحتراز منهم . وشتان بين حالين : إحداهما[5] تجعلُ الناسَ حراساً ؛ والاخرى تحوجه الى الاحتراس منهم . ولسنا نعني بزوال الرهبة خلو قلوب الرعيّة منها بالموجدة[6] ؛ وإنما نعني ان يكونوا في حالِ رهبتهم لهُ ، واثقين بعدله ، آمنين من تعسفه وظُلمِهِ ؛ فتكون الرهبة حينئذ كمخافة الولد لوالده ، بَفَرق او بأدب ، و[هو] يَعلَمُ أنه لا يريدُ إلاَّ خيرًا له .

* * *

ورأسُ السياسة إنجازُ الوعد والوعيد ، ومكافأةُ المحسن

---

(١) م ، ت : « ثم يحذر » .

(٢) المُدافعة : المماطلة .

(٣) م ، ت : « إذ هي » .

(٤) شبيه بهذا المعنى ما جاء في « سلوك المالك » ص ٨٣ : « وعليه ان يجتهد في استمالة قلوبهم إليه ، وجعل طاعتهم رغبة لا رهبة » .

(٥) ت : « احدهما تحمل » – م : « تجمل » .

(٦) في الاصل : « بالمواحدة » – وقد قلبنا وجوه الكلمات ، فترددنا بين «المؤاخذة» و «الموجدة» ولكننا فضلنا الكلمة الأخيرة لتكون على عكس ما يلي من كلمات «واثقين بعدله آمنين من تعسفه » .

والمسيء، والوفاء في الجد والهزل، والاستخدام بالكفاية لا بالغاية، والتيقظ للأخبار في القرب والبعد. فَمَن أحرَز هذا الفضل[1]، وأحاطَ بمعانيه أحاطَ بالسياسةِ كُلِّها. وبالله تعالى الثقة.

***

وليجتهدْ في احراز الحظّ[2] الجزيل من فضائل النفس وهي: **العلم. والعفة. والحلم. والسخاء. والشجاعة.**

[٣ظ] فمن **الحلم** معرفته بما يأتي ويَذَر[3]؛ وشدةُ بحثه عن كل ما جَلَّ ودَقَّ.

ومن **العفة** تنزهه عن المكاسب التي فضلتها[4] الرعية، ويجتهدُ أن تكون[5] وجوهُ دخله مناسبة لجلالة قدره، وعلو منزلته؛ لا يَهتِك فيها للدين ولا للمروءة ستراً؛ ولا يبعثُ بها على أحدٍ من الرعيّة انتقاصاً وظلماً.

ومن **الحلم** تأخيرُ عقاب المُقَصِّر إلّا بعد تكرير تنبيهه، والإغضاء عن اول وثانٍ من جرمه؛ فاذا انقطع العذرُ أوقع العقوبة بموقع السياسة لا التشفِّي، والعدل لا التعدّي.

(١) في الاصل: «الفصل».
(٢) في ت: «الحظ» بالخاء المعجمة.
(٣) م، ت: «وندر».
(٤) في الاصل: «فصلها الرعيّة» وهي لا توافق السياق فاخترنا الوجه الذي أثبتناه.
(٥) م: «أن يكون».

واما السخاء[1] فان لا يمطل حقاً ، ولا يخيب أملاً ، ولا يُؤيس قاصداً ؛ فانه يستعيض بعز الولاية وجاه القدرة خلفاً من كل ما ينفقه. وليعلمْ كلُّ والٍ أنّه وكيل الله على ماله ؛ وأن عليه حقاً واجباً لكل ابن سبيل ، ومنقَطَع به. فليخرج الى موكّله مما يلزمه له[2] ، وإلاّ لا يأمن من استبداله به ، وحفظه عليه .

ومن الشجاعة أن[3] يشعر قلبه انه لا يجوز[4] ان يكون الجبان[5] ضابطاً لأمره ، ولا حارساً لرعيته. وأنه إذا استشعر اعداؤه وأولياؤه ذلك طمعوا في عطفه ، وتدرّجوا إلى اطّراح مراقبته.

وأن يجعل وُكْدَه[6] كلّه[7] جمع الرجال والاسلحة ، والخيل والعدد.

***

(١) لعل الاجل أن نبدل الكلمة هنا كما يلي : « ومن السخاء أن لا . . . » كما مرَّ قبلها .

(٢) ت : « فما يلزمه » .

(٣) م ، ت : « فان يشمر » .

(٤) ت : « أنه لا يجور » .

(٥) ت : « الجيار » — م : « الجار » — وقد ترددنا في الاختيار ، فرأينا تارة أن تكون : « الحنان » وأخرى : « الحذار » ولعل الوجه الذي اخترنا أقرب للسياق .

(٦) « الوُكد » : بالضم السعي والجهد . — والوكد — بالفتح — : المراد والهمّ والقصد.

(٧) في الاصل : « كلمه » .

وإنْ وثق السائس بتحصيله فليدرسْ أخبار الماضين ، ليجتنبَ أَقبحَها ، ويعتمد أَصلحَها . فإنه بابٌ عظيم من ابواب السياسة .

باب
سِيَاسَةِ الخاصَّة

اعلمْ ان سياسة الخاصة ليست كسياسة العامة لان سياسة العامة استحفاظ طاعتها ؛ واقامةُ الرغبة والرهبة فيها ؛ وافاضة المَعْدَلة[1] عليها ، من غير ان يحدّث نفسه إلزامها الآداب الصالحة ؛ فان ذلك عسيرٌ لا يرام .

لكنَّ الخاصة يجب ان يعتني باصلاح اخلاقها ، وتهذيب آدابها ، لتقوى على حقوق الخدمة التي تلزمها[2] .

واذا كانت للرئيس ، فهي كالاعضاء للبدن[3] . فمتى لم تكن الاعضاء على الهيئة الفاضلة ؛ او عرض لها أمرٌ يثني كلها او [٤ و] بعضها[4] عن فعلهِ الأصليّ ، الموظف له ، وقع الاضطراب في جملة البدن .

* * *

(١) المَعْدَلة : كالعدل اي الحكم بالحق .

(٢) في ت : « نلزمها » .

(٣) هذا المعنى شبيه بقول ارسطو وهو يوصي الاسكندر : « إن الوالي من الرعية مكان الروح من الجسد ، وبموضع الرأس من سائر الاعضاء » – انظر : «مقالات بعض فلاسفة العرب» – ص ٣٦ .

(٤) هذه الجملة مضطربة في الاصل واليك رسمها في النسختين : « لها امرين يليها او بعضها » – ولعل تصويبنا لها يقع من كبد النص الموقع الذي اراده الكاتب .

وأول ما يجب اعتقاده في هذا الباب : ان السائس لا يستغني عن تثقيفِ خاصّته ، وتفقُّد احوالهم ، وتقويمِ زيفهم[١]، وان كانوا حصفاء[٢] سُدًّا ؛ مثلُه في ذلك كالصانع الذي يحتاج في صنعته الى آلات ؛ وتلك الآلات لا يجوز ان تبقى على حالها مستقيمة بل منها ما يكل فيشحذه ، ويموج[٣] فيقومه ، ويفسد فيصلحه.

وكذلك السائس يجب ان تكون له عينٌ راعية ؛ تتفقد أصحابه ، ليتلطف في تثبيت صلاحهم ، ونفي فسادهم، بما يتهيأ.

ومما يحتاج اليه في هذا المعنى : أن لا يعتقد أنه [إن] استغنى، او استكفى كافياً أمرًا يهمه، فقد استغنى عن تفقده وتعهده. بل يجب ان يتصور انه مضطرٌ الى مراعاته، وملاحظته بنفسه ؛ كالاستاذ في الصنعة ، الذي يكل الى تلاميذه ما يصنعونه؛ إلا أنّه يراعيهم ليأمن خللًا يجري فيه.

وهذا أصلٌ عظيم، ينبغي أن يوقف الفكر عليه، والاهتمام به.

*
* *

ويجب ان يستخدم خواصّه على المخالصة، والمحبة الصرف[٤]

---

(١) الزَّيف : – في الاصل – من وصف الدراهم إذا صارت مردودة لغش فيها .

(٢) في الاصل : « خصفًا اسداد » وهي مضطربة – والحصيف : ذو العقل السديد – والأَسَدُّ : ذو السَّداد جمعه سُدٌّ

(٣) في الاصل: « معوج » .

(٤) الصِرْف : من الشراب الخالص ، أي محضٌ غير ممزوج .

بلا مزاح[1]. وطريقه ان يستعمل معهم أربعَ خصال:

أولها: الاحسان اليهم، فقد ﴿ جُبِلَتْ القُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا ﴾[2]. وان يتفقد احوالهم، فيلمّ شَمَثها[3]، ابتداءً قبل المسألة؛ ليدل على خلوص الاهتمام، ولطف العناية. فإن قليل الابتداء أهنأُ وأحسنُ موقعاً من كثير العطاء بعد السؤال[4].

وثانيها: بسط آمالهم بالعفو عن الزلل.

والثالث: ان لا يستقصي عليهم في أزمنة خدمتهم، حتى لا يجدّد ترحة[5] لراحة نفوسهم ولذاتهم. ولكل انسان وطرٌ يجب أن يقضيه؛ ويتنغص عيشهم بمناقشته فيه؛ ويلحقهم بالاستقصاء ضجرٌ وملال، يفسد الخدمة. فاذا سَاهَلَهم[6] الرئيس بعضَ المساهلة كانوا في خدمته أنشطَ؛ ومحبته ابداً في قلوبهم تنمى وتتجدد. [٤ ظ]

---

(١) في الاصل: «مزاح» – ولعلها المِزاج: وهو المزج اي الخلط.

(٢) حديثٌ شريفٌ؛ وتمامُهُ: «جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أحسَنَ إليها وَبُغْضِ مَنْ أساءَ إليها» – انظر: «الجامع الصغير» للسيوطي ج ١ ص ٤٨٨؛ و«الفتح الكبير» للسيوطي ج٢ ص ٦٢.

(٣) في الاصل: «فيرم» – شمث: الشيء فرّقه. ويقال في الدعاء: «لمّ الله شعثكم» اي امركم

(٤) هذا المعنى شبيه بقول أفلاطون: «من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسألة ليكون أكمل التذاذًا وأهنأ توقعًا.» انظر «مقالات بعض فلاسفة العرب» ص٣٢ – وشبيه به ما جاء في سلوك المالك ص ٧٠: «ينبغي أن يبدأهم بالبر ولا يحوجهم إلى مسألة، ويسأل عمن غاب ممن حضر».

(٥) ت، م: «لا يجدد ترحة» ولعل المؤلف يريد أن يقول: «لا يجدد فرصة» فتصحفت الى ما اثبتناه في المتن.

(٦) في الاصل: «اذا سألهم» – وساهله: مُسَاهلة أي لاينه وياسره.

والرابع : ان يُؤمِّنَهم إسراعه الى قبول كثير من ثقل الاصحاب .

***

وأقلُّ ما يوجد في الناس الكافي الأمين ، فاذا اجتمعا فهو الجوهر الثمين[1] :

فأمّا كاتب الرسائل : فمن يوثق بكتمانه ، بليغ في بيانه ؛ فان العبارة[2] الحسنة تؤثر آثاراً عجيبة في القلوب . ويكون مُتَفَنِّناً[3] في العلوم . وان يطالب فيوجد عنده علم كل ما ورد إليه ، وصدر عنه ، في اوقاته .

واما الحاجب : فطلق الوجه ، مقبول الشمائل ، محبب ؛ ليوصل من يصل بإكرام ؛ ويصرف من لا يؤذن له برفق ولطف كلام . ويجب ان يعرف طبقات الناس كلها ، لينزلهم منازلهم . ويُطالب بإنهاء كل من يحضر في وقته .

واما جابي الاموال : فحسن المعاملة للرعية ، منصف ،

---

(١) نعتقد أنه وقع هنا نقص في الاصل حين النقل والنسخ . ويشعر معنا القارئ ان لا رابطة بين المقطعين ؛ فالانتقال إلى الوظائف السلطانية مفاجيء هنا لم يُمهَّد له .

(٢) في الاصل : « العادة »

(٣) في الاصل : « مفتنناً » – والرجل المفَنَّنُ هو الكبير سيئ الخلق . والمتفنِّن – بالكسر والتشديد – : هو ذو فنون .

منتصف[١] ، مع طلق نفس ، وطبيعة في التمشية والرفق ؛ وإن يعتبر في كل وقت بمسألته عن دخله وخرجه.

واما **قائد الجيش** : فيكون شجاعاً ، فارساً ، عارفاً بآلات الجندية ، ذا حظ من الرأي. ويُطالب بمعرفة احوال الجند المضمومين اليه ، ليعرف الحاضر من الغائب. ويلزمهم الباب ، في أكثر الاوقات ، بالعدد التامة ؛ ليرهبَ بذلك رسل الملوك ، وجواسيس الاعداء.

وصاحب الشرطة : مهيب المنظر[٢] ، عبوس ، جليل في العيون ؛ غير ذي دعابة معروفة. ويأخذ[٣] بالاشتداد على اهل الريب ؛ ويتتبعهم في مكامنهم. صاحب ثقة ، معروف بالصدق ، ناصح امين ، معتدل الطبائع ؛ قليل العلق في المعاملات. ولا يقيل[٤] عثرة من كذب بنهيه ؛ فإن التدبير كله على قوله.

والحاكم : يجب ان يكون عالماً ، عاقلاً ، مأمون الباطن ، غنيّ النفس.

---

(١) في الاصل : « منصف » وهي خطأ — وانتصف : طلب النصفة ، وأخذ حقه كاملاً حتى صار واياه على النصف—انظر «سلوك المالك» ص١٠٣ :«وجامع الاموال يجب ان يكون فيه انصاف وانتصاف » .

(٢) شبيه بهذا المعنى ما في « سلوك المالك » ص ١٠٣ : « وصاحب الشرطة ان يكون مهيباً غليظاً على اهل الريب في تصاريف الحيل » .

(٣) في الاصل : « ويؤاخذ » .

(٤) ت : « ولا يقبل » .

والمحتسب : أمين، ثقة، حميد السيرة، عارف بوجوه المكاسب[1] والغشوش[2]، ومصالح الرعية.

ومظالم الناس صنفان : صنفٌ ظاهر كالفسق المجاهر به ونحوه، وصاحب الشرطة يتولاه. وصنف مكتوم، والمحتسب يتولاه ؛ وربما كانت مظالم هذا النوع أعظم ضرراً من النوع [٥و] الآخر، لأنها خافية لا يهتدى اليها.

والمختار المتوجه في الرسائل : حسن الرواء، مقبول، ناصع اللسان، حافظ لما يقوله ولما يُقالُ له، يؤمن في التحريف والتمويه.

---

(١) للتوسع في هذا الفصل انظر « الاحكام السلطانية » للماوردي ص ٢٠٨ .

(٢) في العربية كتاب مفيد في هذا الباب طُبع في مصر سنة ١٣١٨ ه، وعنوانه : « كتاب الاشارة الى محاسن التجارة » تأليف جعفر بن عليّ الدمشقي.

باب سياسة العامّة

العامّة في الموضوع الذي بكثرتِهِ يتسع الملك ؛ وكلما كثروا كان الملك اوسع. واصلاح العامّة عسير لكثرتهم، وقلةِ التمكن من مداواة الفساد[١] العارض فيهم. فانّ الملك، عند اضطرابهم، إنْ رامَ شفاء غيظه منهم لم يتمّ له ذلك، إلا بخراب بعض العمارة، وبلوغ[٢] ما زعزع من أركان السياسة.

فليجتهد في حفظ نظامهم، وأن لا يحوجوا الى بلوغ هذه الغاية فيهم.

* * *

ويستدل على حزم الملك بحسن سياسة الرعيـة ؛ وجمع كلمتهم على طاعته، للتباين الموجود في أهوائهم. وإنَّ الشِّدَةَ والعنف لا تصلحهم[٣]، واللين والمساهلة لا تجوز في معاملتهم. فنهم من تفسده الكرامة، ومنهم من تفسده الإهانة[٤].

* * *

(١) م، ت : « مدارات الفساد ».

(٢) في الاصل : « ولبلوغ ».

(٣) في النسختين : « لا يصلحهم ».

(٤) في « مقالات بعض فلاسفة العرب » ما يقرب من المعنى : « لا ينبغي أن تستعمل سيفك فيمن تكتفي منه بالحبس »، ص ٣٨ .

وأول ما يجب في سياستهم : معرفة طبقاتهم ، وتمييز سرواتهم[1] فيطالبهم بالخدمة له، والسعي إلى بابِهِ، إلّا مَنْ ظهر عُذْرُهُ، وبانَ عجْزُه.

ولا يجوز للزهّاد والعلماء الانقطاع عنه، إلّا مَنْ وقعتْ اليمين الخالصةُ بانقطاعه الى الله تعالى بالكليّة ، واعتزال الكافة.

ويترك ما تختلط به الرعيّة «كأبي عليّ بن ابي الهيش» [2] على شأنهم ، والتبرك بدعائهم ، والحذر من الإثم فيهم.

واما من دونهم ، من المتشبهة بهم ، فليوسعوا عـدلاً واستخداماً ، ولا يكونوا[3] من التصوّن عن مجالس الملوك ، والسعي الى أبوابهم ؛ فان في ذلـك فساداً ؛ قد شرَحَهُ «أزْدَشير»[4] في «عهْدِهِ»[5] ، يغنينا[6] عن ذكره.

(١) سَرُوَ فهو سريٌّ جمعها أسرياء ، والسَّراةُ اسم جمعٍ جمعها : سَرَوات .

(٢) لم نجد للرجل ترجمة في المصادر المتداولة ولعله مصحّف عن «حيش» أو «جيش» ففيها أعلام محدثون كثر . انظر «القاموس المحيط» ج ٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٧ .

(٣) في الاصل : «ولا يكون» .

(٤) في «التاج» المنسوب للجاحظ تعليق لزكي باشا ص ٣٥ : «أرد شير بن بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ، ووضع لهم الكتب في الآداب الملوكيـة من أحوال الدين والدنيا» ويقول التـاج ص ٩ : «وعلى هذا كانت أخـلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم . وبهذه السياسة أخذهم اردشير بن بابك» .

(٥) العهد الذي يذكره المغربيّ لم يصل إلينا كاملاً ، وإنمـا طبع المرحوم تيمور باشا منتخباً منه عن نسخة كُتبتْ عام ٧١٠ هـ. ونشره في «رسائل البلغاء» ويحسن أن نضع هنا مقاطع من العهد تشبه ما كتب المغربيّ وما نقل ؛ ليتبين لك أثر الفرس في تفكير صاحبنـا : «ومن الناس صنف أظهروا الزهد في الجاه ، ولم يتقربوا بالخدمة ، وادعوا التواضع ، وهم قد أسروا التكبّر ، واستدعوا إلى أنفسهم الجاه بوعظ الملوك . . . مما أفسد حالَ الدولة . فالرأي أن لا يُهمل الملك أمرَ هذه الطائفة،فانهم أعداء الدول ، وآفاتٌ قويةٌ على الملوك» . [انظر رسائل البلغاء ط. مصر ١٩٤٦ ص ٢٨٤] .

(٦) في ت : «بقينا» .

وهؤلاء الذين يطالبهم الملك بقصد بابه، فلهم عليه حقٌّ يقتضي تعرف أخبارهم، وصيانة جاههم، وترتيبهم في مراتبهم، واختصاص كل واحد منهم من ذلك، بما يقتضيه طبعه في الخير والشر[1] والنفع به والضرّ.

ثم يبالغُ في إكرام الأخيار مِنَ الطبقات التي[2] دون ذلك؛ وقمع الاشرار؛ وقصد من يتحقق بطاعته بمجازاة[3] تزيد في بصيرته. والانحاء[4] على من ينحرف[5] عن موالاته[6] بما ينكله وينكل غيره عن مثل طريقته؛ ثم إفاضة العدل العام الذي ينال كلٌّ منهم نصيبَه الموفورَ منه. [٥ ظ]

ثم تسهيل الإذن بقلع الظلم من أصوله، وغرس محبّةِ الوالي في قلوب الرعيّة.

* * *

ثم حفظ أطرافهم؛ وأمان[7] سبيلهم، لتتوفر معايشهم، وتدر متاجرهم؛ واستعمال العقوبة الناهكة[8] بأهل الدّعارة[9]

(١) م، ت : « والشر والشكر ».
(٢) م، ت : « الذي دون ».
(٣) في النسختين : « بمجازات ».
(٤) في الاصل : « والا نحا ».
٥) ت : «من عترن»–م : «يحترف» وهذا السطر كله مضطرب جهدنا في تصويبه ما وسعنا.
٦) في الاصل : « مولاته » «أفاض».
٧) في النسختين : « ايمان » وهو ضد الكفر.
٨) نَهِكَهُ السلطان نهكاً ونهكة : بالغ في عقوبته. ويقال أنهكه. والناهك المبالغ في جميع الاشياء.
(٩) الدعارة – بالفتح والكسر – : الفسق والخبث والشر

واللصوص من القتل المُبير[١] ، والحبس الطويل؛ فهم كالشوك بين الزرع ، لا ينمى ولا يصلح إلا بتنقيته منه.

ثم التعطف على الضعفاء ، وترفيههم عن الكلف السلطانية ، من تسخير لهم ، أو استعانة بهم .

وليعلم[٢] أن كثيرًا من الفتن تهيج بشكاية الضعفاء ، وحقد الاغنياء . ويجب أن يتناول ما بعد منهم من السياسة والعدل بمثل ما يتناول به القريب أو أكثر . وليس بسائس من خصّ بحزمه بعض ملكه . ومثل العارض البعيد ، إذا لم يستدرك عاجلًا ، كمثل العضو يسقم من البدن ، فان تلوفي وإلّا سرى فساده في الجسد[٣] .

*
* *

ولا يكوننّ الملك لشيء أنكر منه لِرُشَا[٤] العمال والاصحاب. فانها أسُّ الجور والفساد . وصلاح الأطراف البعيدة بشيئين: رفعُ الحجاب للمتظلمين ، وبعثه في كل وقت الأُمناء الثقات المتعرفين .

---

١) في ت وقعت هذه الكلمة من غير نقط : « المسعر » .

٢) في الاصل : « ويعلم » .

٣) في كتاب « التاج » المنسوب للجاحظ باب : « في البحث عن اسرار الخاصة » يحسن الرجوع اليه ص ١٦٧ .

٤) ت : « بوشى » – م : « لرشى » .

وما يحتاج إليه — وقد مرَّ نبذ منه — : تعهدُ ذوي الأخطار والعلماء وأهل الأبواب بالتقريب، واختصاص الواحد منهم بعد الواحد بالتأنيس، والإكرام، والمؤاكلة، والمنادمة. ولا يجعل انسه كله مقصورًا على خاصته. وليكن ما يفعله من أمر هؤلاء الاماثل بددًا غير محصور؛ والغرض فيه الايناس وازالة النفور.

* * *

ثم احسان مجاورة جيرانه في الممالك التي تلي مملكته، فحاله معهم كحال الواحد من السُّوقة مع جيرانه لما أسستْ عليه الدنيا من الحاجة إلى التعاضد. وأن يُبَالغ في بر الواردين[1] عليه من رسلهم. وأن يتصنع لهم بتفخيم مجلسه، واظهار جماله وزينته، ومظاهرة برّه لهم، وتكرمته. واللهَ اللهَ أن يُطيل حبسَهم عنده؛ ففي ذلك من الفساد ما يطولُ شرحُه. والمدة التي يقيمونها، فليكونوا محروسين ملحوظين من مخالطة أحد من [٦ و] الخاصّة والعامة إلا من[2] عرفه الملك.

* * *

ثم يتفقد مدينَته بل مدنه كلها بضبط طرقها، ومعرفة من يدخلها ويخرج منها، والوقوف على الكتب المختلفة إلى أهلها من التجار وغيرهم. وليضبط مدينَته ضبطَ الرجل من

١) ت : « الوالدين ».
٢) ت : « أن ».

الرعيّة دارَه . ولا يخرج عنها احدٌ إلا بجواز ؛ ولا يدخلها الا باذن .

ثم يوكل فكرَه بالاخبار ، والبحثِ عن الأسرار فيما قرب منه[1] ، وبعد عنه ، وجاوره من وليّ وعدو ؛ ومبلغ ما عندهم من عُدَّة ، وما يتجدد لهم من عزيمة[2] . وهذا أمر يجب أن يسمح به بكل نفيس ؛ ولا يضنَّ عنه بمال ولو كثر . فربما دهمه[3] من مجاوريه ، على غفلة ، ما يود لو سبق به علمه ولو أنفق الأموال الجزيلة عليه .

وبالله التوفيق .

---

(١) في الاصل : « عنه » .

(٢) في « سلوك المالك » بحث عن هذا ؛ فليراجع ص ٨٤ .

(٣) في النسختين : « أدهمه » ومعناها ساءه كما في القاموس ؛ ولعلها : « دَهمَه » بمعنى غشيه ؛ وهي المقصودة هنا .

ختام هذا التعليق

وَقد رأينا أَنْ نختمَ هذا التعليقَ بكلماتٍ لِ« أبي بكر الصديق »[١] ـــ رضوان الله عليه ـــ مما وَصَّى به « يزيدَ بنَ ابي سُفيانَ » لمَّا أنفذه على العساكر إلى الشَّامِ . فإنَّها من البلاغة البديعة والوصايا العجيبة : ـــ

وهي قوله :

« ابدأْ جُنْدَكَ بالخير ، وعِدْهم ما بَعْدَه[٢] واذا وعظت فأَوْجِزْ ؛ فإنَّ الكلام إذا كَثُرَ نُسِيَ الأولُ بالآخر[٣] . وأَصلِحْ نفسَكَ يَصْلُحْ لك الناس ؛ (فانَّ الاميرَ انَّما يُتقربُ إليه بمثلِ فِعْله[٤]

(١) ذكر ابن الاثير [ج ٢ ص ٣٠٩] ، تحت سنة ثلاث عشرة «فتوح الشام» وقال : « أَمَّر – أي ابو بكر – يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم ، هو جمهور من انتدب اليه . فيهم سهيل بن عمرو في أمثاله من أهل مكة . وشيعه ماشياً وأوصاه وغيره من الأمراء فكان مما قال ليزيد : إنّي قد وليتك لأبلوك وأجربك . . . » — ولكن الوزير المغربي حين نقل هذه الوصية اختصر فيها ؛ وبدَّل من كلماتها وسنضع في الحاشية نصّ (ابن الأثير) مقابلة لما أورد الوزير ، لندرك الفارق والاسلوب والطريقة بين الانشاءين ، كلما اختلف اختلافاً بيناً يستحق الذكر والتعليق . وسنرمز هنا بحرف (ر) اختصاراً لتاريخ ابن الأثير ونضع بين قوسين ما ألفه الوزير المغربي ولم يورده ابن الأثير .

(٢) ر : « وعدهم إياه » . م : « وعدهم »

(٣) ت : « الآخر » – ر : « فان كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً » .

(٤) هذه الجملة كلها ناقصة في ر .

ولا تغفل عن الصلاة إذا دخل وقتها[١] . (وليؤذن المؤذنُ في عسكرك ، ثم ابرزْ فَصَلِّ بمن أحبَّ الصلاة خلفك)[٢] . وإذا قدمتْ عليك رُسُلُ العدوّ فأكرِمْ منزلهم ، واقلل مقامهم[٣] ، ليخرجوا مِن عسكرك وهُمْ جاهلون به ، غير عارفين بِخَلَلٍ إنْ كانَ فيه[٤] ؛ وأنزلهم في جمهور[٥] كثير من عسكرك ؛ وامنع كل واحدٍ منْ محادثتهم[٦] ؛ وكن أنت المُتَوَلِّيَ لكلامهم[٧] . ولا تجعل سرَّك مثلَ علانيتك[٨] فيختلط أمرك . واذا استشرت فحقق الحديثَ ولا تكتم بعضَه ليتحقق الرأي[٩] . فاذا علمت للعدو عورة[١٠] فاكتمها حتى تأتيها . واسهر بالليل في مجلس تتحدث فيه مع أصحابك ؛ فان ذلك يأتيك بالاخبار[١١] . وبَدِّدْ حَرَسك ، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك[١٢] . فمن

---

(١) ر : « وصَلِّ الصلَوَاتِ لأوْقَاتِها باتمامِ رُكُوعِهَا وسُجُودها والتخشُّع فيها . »

(٢) ناقصة في : ر .

(٣) ر : « فأكرمهم واقلل لبثهم » .

(٤) ر : « ولا تربنهم فيروا خلَلَك ويعلموا علمك » .

(٥) ر : « وانزلهم في ثروة عسكرك » .

(٦) ر : « وامنع من قبلك » .

(٧) في النسختين : « أنت تلي كلامهم » .

(٨) ر : « سرك لعلانيتك فيخلط » .

(٩) ر : « فاصدق الحديث تصدق المشورة » .

(١٠) في ت : « وعورة » .

(١١) ر : « واسمُر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار وتنكشف عندك الأستار » .

(١٢) ر : « وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك » .

[٦ ظ] وجدتَهُ قد غفل عن مَحْرَسِهِ[1] فعاقِبْهُ . واجعل حراسَة الليل بينهم نوباً[2] ، والنَّوْبَـةَ الاولى أطول فانها أيسر لاتصال النهار[3] بها . ولا تخفْ[4] من عقوبتهم ، (فَيَضْغَن[5] الناس بأن يروك قد عممت بالحدود ثم خصصت بالعفو بعض الجنود) . ولا تلجنَّ في العقوبة (فان أدناها وجيع) ولا تسرع إليها (وأنت تكتفي بغيرهـا)[6] . ولا تَغْفُلْ عن عسكرك[7] فتفسده المتاركة . ولا تجسَّسْهُ فتفضحه المناقشة[8] . ولا تجالس العيابين[9] وجالس أهل الوفاء والصدق[10] . واصدق اللقاء إذا لاقيت ؛ ولا تَجْبُنْ فَيَجْبُنَ الناسُ .[11] ولا تقم بالمسلمين في موضع هلكة ، ولا تغرر بهم لرجاء فرصة . ولا تعجلوا إلى اللقاء إن تأخر عنكم ؛ ولا تتأخروا عنه إذا حلّ بكم . وتعاهدوا ضعيفكم وذا الخلة[12]

---

(١) في النسختين : « من حرسه » – ر : « فأحسن أدبه وعاقبه في غير افراط » .

(٢) ر : « واعقب بينهم بالليل » .

(٣) ر : « أطول من الأخيرة فانها أيسرها لقربها من النهار » .

(٤) في الاصل : « ولا تخاف عن » – ر : « ولا تخف عن عقوبة المستحق » .

(٥) في الاصل : « فيضنمن » – والجملة بين القوسين من عند المغربي .

(٦) جملة زائدة من عند المغربيّ – وفي ر : « ولا تَخَذْ لها مُدْقِماً » .

(٧) ر : « عن أهل عسكرك » .

(٨) ر : « ولا تجسس عليهم فتفضحهم » – في النسختين : « ولا تحبسه » .

(٩) ر : « العيائبن » .

(١٠) ر : « أهل الصدق والوفاء » .

(١١) من هنا حتى الختام يتفرد المغربي باتمام الوصيّة ، مما لم نجده في ابن الاثير فلعله اخذ عن نص أكمل من المطبوع بين ايدينا .

(١٢) في الاصل : « وذو » .

منكم . وكلوا ظاهرًا ولا تأكلوا في بيوتكم . وإياكم والغدر بمن عاهدتم . ولا تأمنوا عدوّكم وان كان بعيدًا . »

***

فهذه معانيه وبعض ألفاظه ؛ وقد أخرجنا بعضها من الغموض الى ألفاظ يفهمها من قصد بهذه الرسالة [من] ولاة زماننا .

والسلام

تَمَّ ٱلْمُخْتَصَرُ ٱلْمَوْضُوعُ فِي السِّيَاسَةِ

للوزير الكامل أبي القاسم

الحسين بن عليّ

رحمه الله

ترجمة

الوزير المغربي الحسين بن علي

واخباره عن كتب الأدب والتاريخ



١ ـ الوزير المغربي(*)

في : « رسالته إلى أبي العلاء المعريّ وأخيه »

[عن « رسالة الغفران » الطبعة الثالثة بمصر للاستاذ كامل كيلاني .]

(٣٧٠ — ٤١٨ هـ / ٩٨٠ — ١٠٢٧ م)

| ص ٥٣٩ — ٥٤٣ |

هذه — أطال اللهُ تعالى لسيديَّ الشيخين في سبوغ النعمة البقاء ، وأدام لهما في ذروة المجد الارتقاء ، وجعل لهما من كل سوء الفداء والوقاء — نفثةُ مصدور ، وضجرة مأسور . بعثتهما صبابةُ هوًى ، تذكيهما نار الغرام في صبابةِ لقاء :

بقيةُ شِلوٍ كَسَّرَ البينُ عظمهُ ومزَّقَ جلدًا كان يَسْتُرُ ما بَقِي
أقام فلا تلك الخوافي تُطيعهُ نُهوضاً ، ولا تِلكَ القَوادمُ تَرْتقي

ولا بد للمصدور أن ينفثَ . ومالي جارحة إلا وهي جريحةُ حُبّهما ؛ ولا جانحةٌ إلّا وهي جانحةٌ إلى قربهما . ولا قلب إلّا وهو — كيفما تردد وتقلب — ففي مرضاتهما . ولا نَفَسٌ إلّا وهو — كيفما تصعَّد وتصوَّب — ففي موالاتهما .

***

فالله يحرس عليَّ مُوقِدَيْ جزل الغضى بين جنبيَّ ، وموفِدَيْ جيش الصَبابَة كلَّ يوم إليَّ ؛ اللذين إن قابلتُ بهما المروءة طلع سعدُها ، او واجهت بهما الفتوة أسفر مربدُّها ، وسُرَّ مكمدُها :

أُردِّدُ فيهما فِكَرا فترجعُ حُسَّرًا فكَري
كذاك الشمس تثني العَيْـ نَ مُغشاةً عن النظرِ

(*) رتبنا هذه النصوص المخطوطة والمطبوعة وفق وفيات مؤلفيها .

فاذا هاجت بلابلي ذكراها ، واشتقت أن أراها ، ولم أجد عوضاً عن سواها :

أرومُ بالذكر شفاءَ الذي ... يُقلقني من لوعةِ الذكرِ
ولستُ بالحاصل إلّا على ... اطفاءِ جمرٍ بلظى جَمْرِ
وعلّةُ الكون إذا طولبت ... بالجري في الافناد لم تجرِ

مثلتُ نفسي لديها وقررتُ مكاني بين أيديها :

وخلوتُ أجتلبُ الرقادَ لعلني ... ألقى خيالًا منهما فأراهما
فاذا عدمتُ النوم لُذتُ بفكرتي ... فانجاب لي من ليلتي فَجْرَاهُما
واذا سُئلتُ بمن تَهيمُ صبابةً ... قلتُ : اللذان هما اللذان هُمَا هُمَا

الموفيان بعهدي بالغيب ، والساتران لما فيَّ من عيب ، المحسنان بي إذا أسأتُ ، والمصيبان في أمري إذا أخطأت :

دليلاي إن جار بي مهتد ... وعوناي إن خذل الناصرُ
ولولا تردد فكريهما ... لما كان لي في الدُجى سامرُ

من أجتلي غرر محاسنهما من جبهات الدهر ، وأقتبس بهجتيهما من صفحات العصر ، وأطالع طلعتيهما من مرآة التخيل ، واشاهد سمتيهما بعين التذكر والتأمل . ولا غرو إن قرب الود إذا بعد العهد ؛ ولا ضير إن تناءت الاشباح إذا تدانت الأرواح :

وَلكنْ إذا حاسبتُ نفسي تأملتْ ... فلم تر إلا فكرة قلما تُجدي
فلا القلب يلقى غير ما كان من اسىً ... ولا العينُ ترعى غير ما كان من وجدِ
واني لجافي البُعد ، والبُعدُ قاتلي ... وشاحذ حدّ البين ، والبينُ لي مردي
فوا أسفا من ذا ألومُ على النَّوَى ... ومن قِبَلي كان الفراق ومن عندي
وكم قد أقلتُ الدهر من خطاٍ ثِنًى ... فهلّا أقال الدهر من خطاٍ فردِ
فنفَّث من كرب وفرّج من أسى ... وجمّع من شتّ وقرّب من بُعدِ

وهيهَات ! هو الذي يسوء بادرًا ، ويسرُّ نادرًا ؛ ويحسن مبتدياً ويسوء آخرًا :

ويجودُ ثم يجيد أخذ صلاته ... مستدركاً خطأ الجميل فمُدْركا

و إلى الزمان اذم ما القاه من   غِيَرِ الزمان ، وأستنيم إلى البُكا
واذا شكوت إليه سوء صنيعِهِ   لم يُشكِني فاليه منه المُشتكى

فعساه أن يسمح باجتماع لا ينقضه ارتداع ، وتلاق لا يكدره افتراق . ولولا ما أرجوه من عوده إلى ما عوَّد من جمع الفريقين ، ولمِّ ذات البين لمتُّ كمدًا ، ولم أطق على ما أقاسيه جلدا .

***

فأما حالي وما أنا عليه ، فجملتها أنني أصبح وأمسي في غلّ التدبير ؛ وأروح وأغدو في سجن المقادير ، هدفًا لسهام الليالي والأيام ، وغرضاً لأسنة الأحوال والاعوام ، أجد ما لا أريد ، وأريد ما لا أجد :

وليتني من زمــاني   خرجتُ رأساً برأسِ
فلم ينلني بخــيرٍ   ولم يُصِبني ببــأسِ
وكنت أصبح حرًّا   بين ارتجــاء ويأسِ

وهما يريان ذالك في اضطراب خطي ، ورجوع ألفاظي شيئاً فشيئاً إلى حطي . فاذا هما صرفا التأمل إليّ وأقبلا بكلية فهميها عليّ وجداني :

وقد استحال الهمُّ بي فتخالني   من طول ما أجد الجوى مسرورا
وقد انطوت مني الضلوع على هوى   لو كان محسوساً لكان سعيرا

***

وأخلق بمن كانت هــذه صفته ، أن يتساوى عنده الصحة والسقم ؛ وأحرى بمن كان هذا نعته ، أن يتماثل عنده الراحة والألم :

بأيّ فؤادٍ أقــاسي الهموم   وفي أيّ جفن احسُّ السُهادا
ومــا ترك الدمعُ لي مقلة   ولا خلّف البين عندي فؤادا

وأنا مع كمال هــذه الأحوال أخاشن الحجر ، وأحاسن القمر . وأفاضل الهجان بالهجَن ، وأفضل الثثاثة على السِّمن :

أتعاطى نوح الركيّ وان قَصَّـ   ـرَ عن أن ينال مــاء رشاء
ولعهدي بفكرتي وهي تنجا   بُ عن صبــاحها السلماء
غير اني وان تعــاورني الهـ   ـمُّ وشاء الزمان مــا لا أشاء

فرمـاني مستيقناً أن قلباً بـين جنبيَّ صخرةٌ صمّاء
لا أبالي أطـال ليلي أم يَوْ مي ا كلا الرقبتين عندي سواء
والمُفادي هو المراوح من هـ ـمّي ، وهذا الصباح ذاك المساء
واذا العين لم تعاين سوى الـ ـو ء فسيّان ظلمـةٌ وضياء
وابني الهمُّ لا ابنه انا إذ كُـ ـلُّ ابن همٍّ بليّةٌ عميـاء

وهذا قول استغفر الله منه . وأسألُ التجاوز عنه . وأن يجمعنا على حالٍ تسرُّ الصديق وتكمدُ العدو بمنّه ويُمنه ان شاء الله عزّ وجلّ .

٢ ـ ابو العلاء المعريّ (*)

في : « رسالتيه « المنيح » و « الاغريض » إلى الوزير المغربيّ »

[عن « رسائل أبي العلاء المعرّي » طبعة شاهين عطيّة – بيروت ١٨٩٤]

٣٦٣ – ٤٤٩ هـ / ٩٧٣ - ١٠٥٧ م

| ص ٣٤ |

وان أدبي لينظر الى أدبه نظر جَرْبَاء العُنُوق الى جرباء العَيُّوق[١] . وابن الماء من السماء ؛ وموقع السيل من مطلع سهيل ؛ والنعائم الشاردة من النعائم الصادرة والواردة.[٢]

وتالله أساجل بثمدي[٣] بحره . ولن يهلك امرؤ عرف قدره . والسلام

*
**

(*) في « صبح الأعشى » للقلقشندي ج ١٤ ص ١٨٣–١٩١ نصٌّ للرسالة الاغريضيّة كامل مضبوط قابلنا عليه . وفي « رسائل المعرّي » ما وجهه إلى الوزير المغربي ووصفه به لم نثبته هنا .

(١) العنوق : الاناث من ولد المعزى ؛ وجرباء العيوق : السماء .

(٢) النعائم الصادرة : هي احد منازل القمر صورته شبيهة بالنعامة .

(٣) الثمد : الماء القليل .

ص ٦٠–٦٢

وسيُّدنا – أطال الله بقاءه – القـائلُ النظم في الذكاء مثل الزّهر ، وفي النقاء مثل الجوهر . تحسب بادرته التاج ، ارتفع عن الحجاج ، وغابرته الحِجل في الرجل . يجمع بين اللفظ القليل والمعنى الجليل ، جَمْعَ الافعوان في لعابه ، بين القِلّة وفقد البِلّة . خَشُنَ فحسن ، ولان فَلا هـان . لين الشكير يدل على عِتق المحضير[1] . وحَرشُ الدينار آية كرم النجار[2] .

فصنوف الأشعـار بعده كألف « السّلام » يلفظ بهـا في الكلام . ولا تثبت لها هيئة بعد اللّام . خلص من سبك النقد خلوص الذهب من اللّهب . واللجين من يـد القين . كأنه لآل في أعناق حوال .... . مـا خانته قوة الخاطر الأمين ، ولا عِيب بسناد ولا تضمين ...

وكذلك سيدُنا ولّد من سحر المتقدمين حكمة للحنفاء المتدينين . وكم له من قافية تدني الـود[3] وتثني الحسود ، كالميت من شرب العاتقة الكميت . نشوره قريب وحسابه تثريب .[4] ...



ص ٤٦

ووقفتُ على « مختصر اصلاح المنطق » الذي كاد بِسِمَات الابواب يُغني عن سائر الكتاب ، فعجبتُ كل العجب من تقييد الأجال بطلاء الأحـال ؛ وقلب البحر الى قَلتِ النحر[5] ، واجراء الفرات في مثل الأخرات[6] ؛ شرحاً له تصنيفاً شفى الريب وكفى من « ابن قُرَيب »[7] ، ودل على جوامع اللغة بالايماء ، كما دل المضمر على ما طال من الاسماء .

(١) المحضير : الفرس الشديد العدو .
(٢) حرش : خشونة – النجار : الاصل .
(٣) السود : هو السؤدد .
(٤) نشوره : اي صحوه – وتثريب : لوم .
(٥) القلت : النقرة في الجيد .
(٦) جمع خُرْت : وهو ثقب الابرة .
(٧) ابن قُريب هو الاصمعي .

٣ ـ ابن القارح (*)

في : « رسالته الى ابي العلاء المعرّي »

[عن « رسائل البلغاء » – جمع العلّامة محمد كرد علي بك – مصر ١٩٤٦ م .]

| ص ٢٧٤ |

وقلت له[1] — ونحن على أنس بيني وبينه — : لي حرمات ثلاث: البلدية، وتربية أبيه لي ، وتربيتي لإخوته . قال: « هذه حرم مهتكة . البلدية نسب بين الجيران. وتربية أبي لك مِنّةٌ لنا عليك. وتربيتك لاخوتي بالخلع والدنانير . »

أردتُ أن أقول له : استرحت من حيث تعب الكرام ، فخشيت جنون جنونه ؛ لأنه كان جنونه مجنوناً . وأصحُّ منه مجنون وأجن منه لا يكون. وقد أُنشد :

جنونك مجنون ولست بواجد طبيباً يداوي من جُنون جنونِ

بل جُنَّ جنانه ، ورقص شيطانه : .

به جِنّــةٌ مجنونةٌ غير أنهـا إذا حصلت منهُ ألبُّ وأعقلُ

***

| ص ٢٧٥ |

وكان ابو القاسم ملولًا . والملول ربما مل الملال . وكان لا يمل أن يملّ . ويحقد حقد من لا تلين كبدُه ، ولا تنحل عقده . وقال لي بعضُ الرؤسـاء، معاتباً : « أنت حقود ، ولم يكن حقودًا . » . فقلت له : أنت لا تعرفه .

(*) يختلف المؤرخون في ولادة ابن القارح ووفاته ؛ وأكثرهم على أن ولادته سنة ٣٥١ ﻫ ووفاته بعد سنة ٤٢٦ ﻫ.

(١) يعني الوزير المغربي ، بعد حديث طويل عن ابي الوزير ومقتله ، وهرب ابي القاسم من مصر مما جاء اكثره في مقدمتنا .

والله ما كان يُجنى عودُه ، ولا تُرجى وعودُه . وله رأي يزين لــه العقوق . ويمقت اليه رعاية الحقوق . بعيد من الطبع الذي هو للصدِّ صَدُود ؛ وللتآلف ألوف ودود . كأنه من كبره قد ركب الفلك ، واستوى على ذات الحُبُك . واستُ ممن يرغب في راغب عن وُصلته ، او ينزع الى نازع عن خلته .

فلما رأيته سادرًا جارياً في قلـة إنصافي عـلى غلوائه ، محوتُ ذكره عن صفحة فؤادي ، واعتددتُ ودَّه فيما سال به الوادي:

ففي الناس إن رثَّتْ حبالُك واصلٌ وفي الأرض عن دار القِلى متحوَّلُ

وانشدتُ الرجلَ أبياتاً ، أعتذر بها في قطعي له :

فلو كان منه الخير اذ كان شره عتيدًا لقلنا إنَّ خيرًا مع الشرِّ
ولو كان إذ لا خير لا شرَّ عنده صبرنا وقلنا لا يريش ولا يبري
ولكنه شرٌّ ولا خير عنده وليس على شر اذا دام من صبر

وبغضي له ، شهد الله ، حيًّا وميتاً أوجبه أخذه محـاريبَ الكعبة الذهب والفضة ، وضربها دنانير ودراهمَ ؛ وسماها الكعبية . وأنهبِ العرب «الرملة» . وخرَّبَ بغداد . وكم دم سفك ، وحريم انتهك ، وحُرَّةٍ أرملَ ، وصبيٍّ أيتمَ ! . .

٤ ـ الثعالبي

في : « تتمة يتيمة الدهر »

[طبعة طهران سنة ١٣٥٣ هـ .]

(٣٥٠ — ٤٢٩ هـ / ٩٦١ — ١٠٣٧ م)

ج ١ ص ٢٤ — ٢٥

ابو القاسم الحسين بن عليّ الوزير المغربيّ

أنشدني الشيخ أبو الحسن مسافر بن الحسن — أيده الله تعـالى — قال : أنشدني أبو الحسن محمد بن الحسين العثماني ؛ قـال : انشدني ابن المغربي الوزير لنفسه في بلوغ الغاية من السلوة ؛ ولم أسمع في معناه أبلغ منه:

حبيبٌ ملكت الصبر بعد فراقه على أنني علقتــه وألفتهُ
محا حسن يأسي شخصه من تفكري فلو أنني لاقيته ما عرفته

قال وأنشدني أيضاً لنفسه :

إني ابثك من حديـ ـثي والحديث له شجون
فـارقت موضع مرقـدي ليـلًا فنـافرني السكون
قـل لي فـأول ليلة في القـبر كيف ترى أكون

وأنشدني أبو طالب محمود بن الحسن الطبري ، قال : انشدني ابن المغربي الوزير في أيام انتقاله إلى بغداد :

عجبت هند من تسرع شيبي قلت : هذا عُقبى فطام السرور
عوضتني يد الثلاثـين منـ ـك عذاري رشاً من الكافور
كان لي في انتظار شيبي حساب غالطتني فيه صروف الدهور

وله أيضاً :

إذا ما الأمور اضطربن اعتلى سفيه تضام العلى باعتلائهْ
كذاك إذا الماء حركته طفا عكر راسب في إنائهْ

وله أيضاً :

كن حاقدًا ما دمت لست بقادر فاذا قدرت فخل حقدك واغفر
واعذر أخاك إذا أساء فربما مُحِيَتْ إساءته إذا لم تعذر

*
**

وكان يجري في طريق ابن المعتز نظماً ونثرًا ويجاذبه طرفيهما ؛ فمن لطيف كلامه ما كتب به إلى بعض الرؤساء : « ثقتي بكرمك تمنع من اقتضائك ؛ وعلمي بأشغالك يبعث على إذكارك . » وهذه قصيرة من طويلة .

وكان يقول : « لا تعتذر إلى من لا يحب أن يجد لك عذرًا . ولا تستعن إلا بمن يحب أن تظفر بحاجتك . »

ومر بمكتب والمعلم يضرب صبياً ضرباً مبرحاً ؛ فالتفت إلى من معه وقال : « إن الله تعالى أعان على عرامة الصبيان برقاعة المعلمين . » ومن كلامه : « العمر علق نفيس لا ينفقه العاقل إلا فيما هو أنفس منه . »

٥ ـ ابن القلانسي

في : « ذيل تاريخ دمشق »

[طبعة آمدروز – بيروت ١٩٠٨]

(٤٦٤ – ٥٥٥ هـ / ١٠٧٢ – ١١٦٠ م)

ص : ٦٣ – ٦٤

وقيل إن « منصور بن عبدون » النــاظر في الدواوين بمصر ، لم يزل بنو المغربيّ – المقدم ذكرهم – مستمرين على الوقيعة فيه ، والتضريب بالسعاية عليه ، وافساد رأي الحاكم فيه ، وهو يعتمد فيهم مثل ذلك ، ويغريه بهم ، ويحمله على قتلهم حتى تقدم إلى جعفر الصقلبيّ – وكان قد قام مقام مسعود السيفيّ في القتل – أن يحضر علياً ومحمداً ابني المغربيّ، ويدخلهما الحجرة ، ويضرب أعناقهما ؛ ففعل ذلك . ثم أمره أن يحضر أبا القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ ، وأخويه ، ويقتلهم . فأما الأخوان فانهما أُخذا بعد ثلاثة أيام وقُتلا . وأمــا أخوهما أبو القاسم الحسين بن عليّ ، فاستتر وأعمل الحيلة في النجاة ، وهرب مع بعض العرب . وحصل بحلة « حسّان بن المفرج بن دغفل بن الجراح »، واستجار فأجاره . وأنشده عند دخوله عليه واعانه ممن يطلبه منه ما يستنهض عزيمته فيه من الاجارة له ، والذب عنه ، والمراماة دونه :

أما وقد خيَّمتُ وسط الغابِ ... فليَقْسُونَّ عــلى الزمانِ عِتابي
يترنَّمُ الفولاذ دون مخيّمي ... وترعزع الخرصان دون قبابي
واذا بنيتُ على الثنيّة خيمةً ... شُدَّت إلى كِسَر القنا أطنابي
وتقوم دوني فتيةٌ من طيّءٍ ... لم تلتبس أثوابهم بالعــابِ
يتناثرون على الصريخ كأنهم ... يدعون نحو غنــائم ونِهابِ
من كل أهرت يرتمي حملاقه ... بالجمر يوم تسايف وضِرابِ

يهديهم « حسّانُ » يحمل بزّةً   جرداء تعليــه جناح عُقابِ
يجري الحياءُ على أسرة وجهه   جَرْيَ الفرند بصارم قضّابِ
كرمٌ يشق على التلاد وعزمةٌ   يغتال بادرها الهزبر الضّابي
١٠ ولقد نظرتُ اليك « يابن مُفرّجٍ »   في منظر ملء الزمان عُجابِ
والموت ملتف الذّوائب بالقنا   والحرب سافرة بغــير نقابِ
فرأيتُ وجهك مثل سيفك ضاحكاً   والدهر يلبس أوجهاً بترابِ
ورأيت بيتك للضيوف مُمَهدًا   فسح الظلال مُرَفَّع الأبوابِ

***

يا « طيء » الخيرات بين خلالكم   أمنُ الشريد وهمّة الطلّابِ
١٥ سمكت خيامكم بأسنمة الرُبا   مرفوعــة للطّارق المُنتــابِ
وتدلُّ ضيفكم عليكم أنورٌ   شُبّتْ بأجذالٍ ، قهرن صِعابِ
متعرجات باليفاع ، وبعضهم   بالجزع يكفر ضوءه بحجابِ
كلأتكمُ ممن يُعادي هيبةٌ   أغنتكمُ عن رقبــة وجَنابِ
فيسير جيشكمُ بغير طليعــة   ويبيتُ حيّكم بغير كلابِ
٢٠ تتهيبون وليس فيكم هائب   وتوثبون عــلى الردى الوثّابِ
ولكم، اذا اختصم الوشيجُ، لباقةٌ   بالطعن فوق لباقــة الكُتّابِ
فالرمح ما لم ترسلوه أخطلٌ   والسيف مــا لم تعملوه نابي

***

يا « مَعن » قد أقررتمُ عينَ العلى   بي مذ وصلتُ بحبلكم أسبابي
جاورتكم فلأتمُ عيني الكرى   وجوانحي بغرائبِ الأطرابِ
٢٥ من بعد دهر كان أحفز أضلعي   حتّى اضاق بــه عليّ إهابي
ووجدت جار أبي الندى متحكماً   حكم العزيز على الذليل الكابي
فليهنــه مني عــلى متنزهٍ   لسوى مواهب ذي المعارج آبِ
قد كان من حكم الصنائع شامساً   فاقتاده بصنيعة من عــابِ
فلأنظمن له عقود محــامدي   تبقى جواهرها على الأحقابِ
٣٠ لا جاد غيركم الربيع ولا مَرَتْ   غزرُ اللقــاح لغيركم بحلابِ

أنا ذاكر الرجل المندد ذكره كالطود حلّي جيده بشهابِ
ولقد رجوت ، ولليالي دولةٌ ، أني أجازيكم بخــيرِ ثوابِ

فلما سمع « حسّان بن الجراح » هذه الابيات هشَّ لها ، وجدَّد القول له بما سكّن جأشه وأزال استيحاشه .

***

وهذا «ابو القاسم الحسين بن عليّ المغربي» كان ذا علم وافر ، وأدب ظاهر، وبلاغة وذكاء ، وصناعة مشهورة في الكتابة ومضاء . فأقام عنده مـا أقام محترماً ، مكرماً . وجرى له ما يذكر في موضعه . ثم رحـل إلى ناحية العراق . وتقدم هناك في الأيام القادريّة . ووزر للأمير قِرواش أمير بني عُقيل . ووزر لابن مروان صاحب ديار بكر . وكان مستقلّا بصناعتي الكتابة : الانشائية والحسابية . وحين مرض وأشفى وصى بحمل تابوته إلى « الكوفة » ودفنه في « المشهد » بها ، وفُعل به ذلك .

٦ ــ ابن الجوزي

في : « المنتظم في تاريخ الملوك والامم »

[طبعة مصر سنة ١٣٥٩ هـ]

(٥٠٨ — ٥٩٧ هـ . / ١١١٤ — ١٢٠١م)

جزء ٨ ص ٣٢

الحسين بن عليّ أبو القـاسم المغربي الوزير . ولـد بمصر في ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة ، وهرب منها حين قتل صاحبُها أباه وعمَّه . وقصد مكة ، ثم الشام ، ثم بغداد ؛ فوزر لمشرف الدولة بعد أبي عليّ الرخجي ، وكان كاتباً عالمًا يقول الشعر الحسن . ثم وزر بعد ذلـك لابن مروان « بديار بكر » ومات عنده . قال ابو غالب بن بشران الواسطي رويتُ له : ان بعض الحكماء قال لبنيه : « تعلموا العلمَ فلأَن يذم الزمان لكم خير من ان يذم بكم » . ففكر ساعة وكتبَ :

ولقد بلوتُ الدهرَ اعجم صرفه فأطاع لي عصيانه وليانه
ووجدتُ عقل المرء قيمة نفسه وبجده جدواه أو حرمانه
فاذا جفاه المجد عيب نفسه واذا جفاه الجد عيب زمانه

***

ومن شعره المستحسن ما انبأنا به أبو القاسم السمرقندي قال : أنشدنا أبو محمد التميمي للوزير أبي القاسم المغربي :

وما ظبيةٌ أدماء تحنو على الطلا ترى الانسَ وحشاً وهي تأنس بالوحشِ
غدَتْ فارتعتْ ثم انثنتْ لرضاعـه فلمْ تلقَ شيئـاً من قوائمه الحمشِ
فطافت بذاك القاع وَلَهَى فصادفتْ سباعَ الفلا ينهشْنَهُ أيّمـا نهشِ
بأوجعَ مِـني يومَ ظلَّتْ أناملٌ تودعني بالـدر من شبكِ النقشِ
وأجمالُهم تمشي وقـد خيل الهوى كأن مطـاياهم على ناظري تمشي
وأعجبُ ما في الأمر ان عشت بعدهم على انهم مـا خلفوا فيَّ مِنْ بطشِ

***

وكان المغربي اذا دخل عليه الفقيه سأله عن النحو ، والنحويَ سـأله عن الفرائض ، أو الشاعر سأله عن القرآن ، قصدًا ، ليسكتهم .فدخل عليه شيخ معروف ؛ فسأله عن العلم فقال: ما أدري ولكني رجلٌ يودعني الغريب الذي لا أعرفه الأموال العظيمة ويعود بعد سنين وهي مختومة ، فأخجله بذلـك . وآل الأمر إلى ان زار رجلًا من الصالحين المنقطعين إلى الله تعالى فقـال : لو صحبتنا لنستفيد منك وتستفيد منا . فقال : ردَّني عن هذا بيتُ شعر :

اذا شِئت أن تحيا غنيًّا فلا تكن بمنزلـةٍ إلّا رضيتَ بدُونهـا

فأنا أكتفي بعيشي هذا! فقال: «يا شيخ ما هذا بيت شعر ! هذا بيت مال!» ثم قال: اللهم أغننا كما أغنيت هذا الشيخ واعتزل السلطان فقيل له: لِمَ تركت المناصب في عنفوان شبابك ؟ فقال :

كنتُ في سفرة البطالة[1] والجهـ ل زماناً[2] فحان مني قُدومُ

---

(١) ياقوت : « الغواية ».
(٢) ياقوت : « مقيماً » .

تبتُ مِنْ كلّ مأثمٍ فعسى يُمْـ ـحى بهذا الحـديث ذاكَ القديمُ
بعد خمسٍ وأربعينَ لقد مَـا طَلْتُ إلّا أن الغريم كريمُ

ولما أحسَّ بالموت كتب كتاباً الى منْ يصل إليه من الأمراء والرؤساء الذين من « ديار بكر » و « الكوفة » يعرفهم أنَّ حظيةً له توفيتْ ، وأن تابوتها يجتازُ بهم الى « مشهد أمير المؤمنين » عليٍ – عليه السلام – ويخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه ويخفره . وكان قصده ان لا يتعرض احد لتـابوته وان ينطوي خبره ؛ فتم له ذلك .

وتوفي في رمضان بميّافارقين عن ست واربعين سنة (!) وحمل الى مشهد أمير المؤمنين عليّ – عليه السلام –. فدفن هناك .

٧ – ابن ظافر الازدي

في : « كتاب الدول المنقطعة »

[مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن – رقم ٣٦٨٥]

(٥٦٧ – ٦٢٣ ﻫ / ١١٧١ – ١٢٢٦ م)

| الورقة ١٩ ظ | فاستشار [أي سعد الدولة] عند ذلك كاتبه أبا الحسن عليّ بن الحسين المغربي ، والـد الوزير أبي القاسم ؛ وكان سعد الدولة قد استكتبه له ، فقال له: الرأي أن تعود الى الرقة وتكاتب العزيز ، ويتأخر «نزار» عنك ثم تعيد وتعود فقال ابن الجفان أحد قواده ، وقد قال له ما تقول ! .. وذلك سنة احدى وثمانين وهرب المغربي الى الكوفة . . .

| ٢١ ظ |

[وكتاب سعد الدولة]: أبو الحسن عليّ بن الحسين المغربي والمصيصي وغيرهما .

| ٢٢ و |

وقد كان ابن المغربي لما حصل بالكوفة كاتب « نزار العزيز » يستأذنه في

الانحياز الى جملته ، فاذن له وسار إليه ؛ ووصل الى مصر في يوم الخميس النصف من جمادي الاولى سنة إحدى وثمانين ، وبلغ عند «العزيز» مرتبة عظيمة ؛ وصار مستشارًا في المظالم ، مؤتمنًا على أسرار الوقائع.

... وأغرى ابنُ المغربي نزارًا بأن يبعث جيشاً إلى «حلب» وكان منير الخادم الذي تسلم دمشق من بكجور قد عصى عليه ، فبعث غلاماً تركياً يقال له (منجوتكين) في عسكر عظيم ، واستكتب له ابن المغربي وأمره أن يبدأ بدمشق ويأخذها من منير ثم يمضي الى حلب ... فسار ولقي منيرًا على الرملة وذلك في يوم الاثنين تاسع عشر رمضان سنة ٣٨١هـ.

[٥٩ و] ولم يتفق[1] عليه [أي الحاكم] بعد ذلك[2] أعظم من عصيان آل الجرّاح ، والسبب في ذلك انه قتل أبا الحسن عليّ بن الحسين ابن المغربي والد الوزير أبي القاسم؛ وقتل أخاه «أبا عبدالله ابن المغربي» ومحسناً ومحمدًا أخوي الوزير المذكور ، لثلاث خلون من ذي القعدة سنة أربعمائة . وهرب الوزير أبو القاسم يومئذ ، وطلبه الحاكم فلم يقدر عليه . ووصل إلى مكة من بر الشام ؛ بعد أن اجتمع ببني الجرّاح بالرملة ، واجتمع بها بأمير الحرمين «أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الاكبر بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن السبط بن عليّ بن أبي طالب » عليهم السلام.

وأفسد بينه وبين الحاكم وحرَّضه على طلب الخلافة ، فاظهر ذلك وبايعه أهل الحرمين . وفارقه الوزير من مكة ، وسار الى الرملة ، فاجتمع بمفرّج بن دغفل بن الجرّاح ، وبَنيه حسّان ؛ ومحمود ؛ وعليّ ، وبايعهم لابي الفتوح . ولما تقرر ذلك طلع على المنبر يوم الجمعة ؛ وخطب الناس ، وكان أول ما استفتح في تحريض الناس على خلع الحاكم الصرا[3] وهو يشير إلى جهة مصر بيده : ﴿طسٓمٓ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ،

---

(١) في الأصل : ينفق ، ولعلها يتفق او يشق .

(٢) اي بعد ثورة ابي ركوة .

(٣) كلمة غامضة لم نستطع فهمها ؛ ولعلها : « انه قرأ » .

يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ | ٥٩ ظ | أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ[١] .

ولما فرغ الوزير من أخذ البيعة على الجراح عاد الى مكة ، وعجّل أبا الفتوح على المسير إلى « الرملة » ؛ فسار فيمن تبعه من الاعراب ، وتلقاه مفرج وأولاده ، وترجلوا له وقبلوا الأرض ، وسعوا في ركابه . ودخل « الرملة » ، وتغلب على أكثر بلاد الشام . وبعث الحاكم اليهم جيوشاً مع مملوك أبيه « يا رجتكين »[٢] فحمل الوزير حسّان حتى اعترضه عند « رُمح » و« الداروم ». وواقعه وأسره ، ونقله إلى « الرملة » أسيراً ، وانتهره وسمع غناء جواريه وحظاياه ، وهو مقيد ، ووضعه في مجلسه ، وارتكب معه فواحش عظيمة ثم ذبحه صبراً بين يديه .

وبقي الشام كله « لبني الجراح » ولم يمكن الحاكم أخذهم إلا بالملاطفة . فسيّر إلى حسان يلاطفه بمال يبذله له على أن يخذل « أبا الفتوح » . وترددت الرسل حتى تقرر أنه يدفع اليه خمسين الف دينار عيناً ، ولكل واحد من اخوته كذلك . سوى هدايا وثياب وحظايا تهدى إليه والى اخوته . وسيّر ذلك جميعه اليهم ، فمالوا على أبي الفتوح . ولما أحس بذلك ركب بنفسه الى الوزير أبي القاسم ، وقال : أنت أوقعتني فخلصني ! فركب معه إلى « مفرّج » ، فاخبره بخبر أولاده ، فقال لهما : وما تريدان مني ؟ فقال له العلويّ : « إنَّ لي عليك حقاً وأود أن تجاوبني عليه بأن تبعث معي من يوصلني إلى مكة | ٦٠ و | ولا تحوجني أن اركب فرسي المسن وأهرب بنفسي ، فتتخطفني العرب ! » فضمن له « المفرج » ذلك وبعث معه جماعة من طَيّئ ، حتى بلغ مكة ، وانصلح أمره بعد ذلك مع الحاكم .

وخاف الوزير بعد ذلك أن يسلمه بنو مفرّج إلى « الحاكم » فسأله أن يسيّره إلى العراق ، فبعث معه طائفة من بني « بحتر »[٣] حتى أخرجوه من سائر أعمال المغاربة .

---

(١) « سورة القصص » ٢٨ ؛ الآية [١ – ٦] .

(٢) في الأصل : «تاروخ تكين» – انظر في تصويبها المقريزي «الخطط» ج ٢ ص ١٥٧ .

(٣) جماعة من طيّئ .

٨ — ياقوت الحموي

في : « معجم الادباء » او « ارشاد الاريب »

[الطبعة الثانية بعناية الدكتور احمد فريد الرفاعي – بمصر ١٩٣٦ .]

(٥٧٤ — ٦٢٦ هـ . / ١١٧٨ — ١٢٢٨ م .)

ج ١٠ ص ٧٩ — ٩٠

الحسين بن عليّ بن الحسين بن محمد بن يوسف بن بحر
ابن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذام
ابن ساسان بن الحرون
من ولد بَهْرَام جُور ملك فارس .

ابو القاسم المعروف بالوزير المغربيّ

الأديب اللغويّ الكاتب الشاعر ؛ ولد فجر يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة [٣٧٠] .

وحفظ القرآن ، وعدّة كتب في النحو واللّغة وكثيرًا من الشعر ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة ؛ ولم يبلغ من العمر أربعة عشر ربيعاً

وكان حسن الخط سريع البديهة في النظم والنثر

ولما قتل الحاكم العبيدي أباه وعمّه وأخويه هرب من مصر ، فلما بلغ « الرملة » استجار بصاحبها « حسّان بن الحسن بن مفَرّج بن دغفل بن الجرّاح الطائي» ، ومدحه فأجاره ، وسكّن جأشه ، وأزال خوفه ووحشته ، فأقام عنده مدّة أفسد في خلالها نيته على الحاكم صاحب مصر .

ثم رحل عنه متوجهاً الى الحجاز مجتازًا « بالبلقاء » من اعمال دمشق .

فلما وصل الى « مكة » أطمع صاحبها بالحاكم ومملكة الديار المصرية وجدّ في ذلك حتى قلق الحاكم وخاف على ملكه فاضطر الى ارضاء ابن

الجرَّاح صاحب الرملة واستمالته ببذل الاموال ، حيث بايع صاحب مكة « أبا الفتوح الحسن بن جعفر » بالخلافة .

فلما استمال « الحاكمُ » ابنَ الجرَّاح هرب ابو الفتوح الى مكة وهرب الوزير ابو القاسم الى العراق .

وقصد «فخر الملك أبا غالب بن خلف الوزير» فأقام عنده بواسط مكرماً بعد أن رفع عنه طلب القادر بالله له ، حيث اتهم انه ورد لإفساد الدولة العباسية . فلما توفي فخر الملك مقتولًا عاد الوزير المغربي الى « بغداد » .

***

ثم شخص الى « الموصل » فاتفق وفاة « أبي الحسن » كاتب قِرواش بن هانئ أمير بني عُقيل . فتولى الكتابة مكانه . ووزر لقرواش .

ثم وزر بعد حين لمشرف الدولة بن بويه مكان « مؤيد الملك أبي عليّ » .
ثم فارق « مشرف الدولة » وعاد الى خدمة مخدومه الاول « قِرواش » .

ثم تجدد « للقادر » سوء رأي فيه ، ففارق « قِرواشاً » متوجهاً الى « ديار بكر » فوزر فيها لسلطانها « احمد بن مروان » واقام عنده الى ان توفي في ثالث عشر من شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعمائة .

وكانت وفاته « بميّافارقين » وحُمِل بوصية منه إلى « الكوفة » ، ودفن بها في تربة مجاورة « لمشهد عليّ » — رضي الله عنه — .

وأوصى أن يُكتب على قبره :

كنتُ في سفرة الغواية والجهـ ـل مقيماً فحانَ مني قدومُ
تبتُ من كل مأثمٍ فعسى يُمـ ـحى بهذا الحديث ذاك القديمُ
بعد خمسٍ وأربعينَ لقد ما طلتُ ؛ الّا أن الغريم كريمُ

***

وللوزير ابي القاسم رواية عن«الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة » ، حكى عنه بسنده الى «المدائني» انه قال : كان رجل بالمدينة من بني سُليم يقال له جعدة ، كان يتحدث اليه النساء بظهر المدينة ، فيأخذ المرأة ، فيعقلها الى الحيطان ، ويثبت العقال ، فاذا ارادتْ أن تثب

سقطتْ وتكشفتْ ، فبلغ ذلك قوماً في بعض المغازي ؛ فكتب رجل منهم الى عمر — رضي الله عنه — بهذه الابيات :

ألا أبلغ « أبا حفص » رسولًا ... فدًى لك من أخي ثقة إزاري[1]

قلائصنا — هداك الله — إنّا ... شُغلنا عنكم زمن الحصار

لمن قلصٌ[2] تركنَ مُعقَّلاتٍ[3] ... « نقا سَلعٍ » بمختلف التِجار

يعقّلهنّ « جعدةُ » من « سُليمٍ » ... وبئس مُعقّلُ الذَّوْدِ الطِوار[4]

يعقلهنّ أبيضُ شيظميٌّ[5] ... مُعِرٌّ[6] يبتغي بسط العُرار[7]

فلما قرأ « عمر » الأبيات قال : عليَّ بجعدة من سليم فأتوه به فكان سعيد يقول : إني لفي الأُغيلمة اذ جرُّوا جعدة إلى عمر ، فلما رآه قال : أشهد انك شيظميٌّ كما وُصفتَ . فضربه مائة ، ونفاه الى « عُمان » .

***

ومن شعر الوزير المغربيّ :

خَفِ الله واستدفع سُطاه وسُخطَهُ ... وسائله فيما تسأل اللهَ تُعطَهُ

فما تقبض الأيام في نيل حاجةٍ ... بنانَ فتًى أبدى إلى الله بَسْطَهُ

وكُنْ بالذي قد خُطَّ باللوح راضياً ... فلا مهربٌ مما قضاه وخطَّهُ

وانَّ مع الرزق اشتراط التماسِهِ ... وقد يتعدى إن تعدَّيتَ شَرطَهُ

ولو شاء ألقى في فم الطير قُوتَه ... ولكنهُ أوحى إلى الطير لَقْطَهُ

إذا ما احتملت العبء فانظر قبيل أن ... تنوء به أن لا تروم محطَّهُ

وأفضل أخلاق الفتى العلم والحجا ... إذا ما صروف الدهر اخلقن مِرطَهُ[8]

(١) في ابن عساكر يشرح البيت الاول قائلًا : « قوله إزاري معناه نفسي ؛ شبه الجسم للروح بالإزار للمرأة . وقيل اراد بالازار اللسان ؛ وهو بعيد » .

(٢) القَلُص : من الابل الشابة ، ويريد بها النساء .

(٣) ابن عساكر : « مفضلات » ولعله يريد المقيَّدات وفي ياقوت : « قفا سلع » مصحَّفة .

(٤) الذود : من الابل بين الثلاث الى العشر .

(٥) الشيظميّ : الطويل الجسم .

(٦) المعر : الرجل الذي يُدخل على قوم مكروهاً او إثماً .

(٧) العُرار : الجناية والاثم .

(٨) ابن عساكر : « العجن مرطه » .

فما رفع الدهر امرءا عن محلّهِ بغير التُّقى والعلم إلّا وحطَّهُ

***

وقال :

حلقوا شعره ليكسوه قُبحاً غيرةً منهم عليه وشُحّاً
كان صُبحاً عليه ليلٌ بهيمٌ فمحوا ليله وأبقوه صُبحا

***

وقال :

لي كلما ابتسم النهار تَعِلَّةٌ بمُحدّثٍ ما شاء قلبي شانُهُ
فاذا الدُّجى وافى وأقبل جُنحُهُ فهُناك يَدري الهمُّ اين مكانُهُ !

***

وقال :

اذا ما الأمور اضطربن اعتلى سفيهٌ يُضام العُلى باعتلائِهْ
كذا الماء إن حركتْهُ يدٌ طفا عكرٌ راسبٌ في إنائِهْ

***

وقال :

أرى الناس في الدنيا كَرَاعٍ تنكَّرتْ مَرَاعيهِ حتَّى ليس فيهن مَرتَعُ
فماءٌ بلا مرعى ، ومرعى بغير ما ، وحيثُ ترى ماء ومرعى فَمَسْبَعُ

***

وقال :

سأعرض كلَّ مَنْزِلَةٍ تعرَّض دونها العَطَبُ
فإنْ أسلمْ رجعتُ وقد ظفرتُ وأنجح الطَّلَبُ
وإنْ أعطبْ فلا عجبٌ لكلِّ مَنيَّةٍ سببُ

***

وقال :

لو كنتُ أعرفُ فوق الشكر منزلةً أعلى من الشكر عندالله في الثَّمَنِ
إذًا منحتكما مني مهذَّبةً حذوًا على حذو ما واليت من حسنِ

***

وقال :

أقول لها ، والعيسُ تُخْدَجُ للسُّرى : أَعِدِّي لفقدي ما استطعت من الصبرِ
سأنفق رَيْعــانَ الشبيبة آنفاً ، على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن ليــالياً تمرُّ بلا نفع وتُحسب من عمري ؟!

*
**

وقال :

الدهر سهــلٌ وصعبُ والعيش مُرٌّ وعــذبُ
فاكسب بمالك حمدًا فليس كالحمد كسبُ
ومــا يدوم سرور فاغنمْ وقلبك رطبُ

*
**

وقال :

من بعــد مُلكي رُمتُم أن تَغدرُوا ما بعد فرقة مــا ملكتُ تُخيِّرُ[1]
رُدُّوا الفؤاد كمــا عهدتم للحشا واطرفيَ الساهي الكرى ثم اهجروا[2]

*

وقال :

لا تشاور من ليس يُصفيك وُدًّا إنه غــير سالك بك قصدا
واستشِرْ في الأمور كلَّ لبيب ليس يألوك في النصيحة جُهدا

*
**

وقال :

تأمَّل من أهواه صُفرة خاتمي فقال بلطفٍ :« لمَ تجنبتَ أحمرَه[3]؟»
فقلتُ : « لعمري كان احمرَ لونُهُ[4] ولكن سقامي حلَّ فيه فغيَّرَهْ »

*
**

---

(١) ابن عساكر : « ما بعد فرقته بمين تخبر »
(٢) ابن عساكر : « والمقلتين الى الكرى ثم اهجروا »
(٣) ابن عساكر : « فقال حبيبي لم تجنبت أحمره »
(٤) ابن عساكر : « فقلت له في أحمر كان لونه »

وقال :

إني أَبثُّكَ مـن حَـديـ(١)ـثي ، والحديث له شجونُ
فـارقتُ(٢) موضع مرقدي ليـلاً ففـارقني السـكونُ(٣)
قل لي : « فـأول ليـلة في القبر كيف تُرى أكونُ ؟ »

٩ — ابن الاثير

في : « كتاب الكامل في التاريخ »

[طبعة تورنبرغ في ليدن سنة ١٨٦٣ م]

(٥٥٥ — ٦٣٠ / ١١٦٠ — ١٢٣٢ م)

ج ٩ ص ٢٢٦

سنة احدى عشرة واربعمائة : في هذه السنة قبض « معتمد الدولة قرواش ابن المقلد» على وزيره « ابي القاسم المغربيّ » وعلى « أبي القاسم سليمان بن فهد» بالموصل ، وكان ابن فهد يكتب في حداثته بين يدي الصابئ ؛ وخدم المقلد ابن المسيب ؛ وأصعد إلى الموصل واقتنى بها ضياعاً ونظر فيها لقرواش ، فظلم أهلها وصادرهم . ثم سخط قرواش عليهما فحبسهما ، وطولب «سليمان» بالمال فادّعى الفقر فقُتل . وأما « المغربى » فانه خدع « قراوشاً » ووعده بمال له في الكوفه وبغداد فأمر بحمله وتُرك .

***

ج ٩ ص ٢٣٣

سنة أربع عشرة واربعمائة :— في هذه السنة قبض « مشرف الدولة »

(١) ابن عساكر : « اني ابثك عن حديثي »
(٢) ابن عساكر : « غيرت موضع . . . فنافرني السكون »
(٣) في ابن عساكر يروي له بيتاً مفرداً هذا نصه :
« عجباً لقلبي وهو نارٌ كيف لا يؤذيك مع طول الاقامة فيه »

على وزيره « مؤيد الملك الرخجيّ » في شهر رمضان وكانت وزارته سنتين وثلاثة أيام ، وكان سبب عزله أن الأثير الخادم تغيّر عليه لأنه صادر ابن شعيا اليهودي على مائة ألف دينار وكان متعلقاً على الأثير ، فسعى وعزله واستوزر بعده « أبا القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين المغربي » ؛ ومولده بمصر سنة سبعين وثلثمائة . وكان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان ، فسار إلى مصر فتولّى بها فقتله الحاكم ؛ فهرب ولده أبو القاسم إلى الشام ، وقصد «حسان ابن المفرج بن الجراح الطائي» وحمله على مخالفة الحاكم والخروج عن طاعته ، ففعل ذلك،وحسّن له أن يبايع«أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلوي» أمير مكة فأجابه إليه واستقدمه إلى الرملة ، وخوطب بأمير المؤمنين ، فأنفذ الحاكم الى حسّان مالًا جليلًا ، وأفسد معه حال أبي الفتوح ، فأعاده حسّان الى وادي القرى ، وسار أبو الفتوح منه الى مكة .

ثم قصد ابو القاسم العراق واتصل بفخر الملك فاتهمه القادر بالله لأنه من مصر فابعده فخر الملك ، فقصد قرواشاً بالموصل فكتب له ثم عاد عنه وتنقلت به الحال الى ان وزر بعد مؤيد الملك الرخجي . وكان خبيثاً ، محتالًا ، حسودًا ، اذا دخل عليه ذو فضيلة سأله عن غيرها ليظهر للناس جهله .

***

| ج ٩ ص ٢٣٥ — ٢٣٦ |

سنة خمس عشرة واربعمائة :— في هذه السنة تأكدت الوحشة بين الأثير عنبر الخادم ومعه الوزير ابن المغربي وبين الأتراك ، فاستأذن الأثير والوزير ابن المغربي الملك مشرف الدولة في الانتزاح الى بلد يأمنان فيه على انفسهما.فقال: أنا أسيرُ معكما . فساروا جميعاً ومعهم جماعة من مقدّمي الديلم الى «السنديّة» وبها قراوش ؛ فأنزلهم ثم ساروا كلهم الى « أوانا » . فلما علم الأتراك ذلك عظم عليهم ، وانزعجوا منه ، وارسلوا المرتضى وأبا الحسن الزينبيّ وجماعة من قواد الأتراك يعتذرون ويقولون :« نحن العبيد » !

فكتب اليهم ابو القاسم المغربي:« انني تأملتُ ما لكم من الجامكيّات فاذا هي ستمائة ألف دينار ؛ وعملتُ دخل بغداد فاذا هو اربعمائة ألف دينار

فان اسقطتم مائة الف دينار تحملتُ بالباقي » فقالوا : « نحن نسقطها » ! فاستشعر منهم ابو القاسم المغربيُّ ، فهرب الى قرواش؛ فكانت وزارته عشرة اشهر وخمسة ايام. فلما ابعد خرج الاتراك فسألوا الملك والأثير الانحدار معهم؛ فأجابهم الى ذالك ، وانحدروا جميعهم .

***

في هذه السنة وقعت فتنة بالكوفة بين العلويين والعباسيين ؛ وسببها انَّ المختار ابا عليّ بن عبيد الله العلويّ وقعت بينه وبين الزكيّ ابي عليّ النهرسابسيّ وبين ابى الحسن عليّ بن ابى طالب بن عمر مباينة فاعتضد المختار بالعباسيين؛ فساروا الى بغداد وشكوا ما يفعل بهم النهرسابسيّ فتقدم الخليفة القادر بالله بالاصلاح بينهم مراعاة لابى القاسم الوزير المغربىّ ؛ لان النهرسابسيّ كان صديقه وابن ابى طالب كان صهره ، فعادوا واستعان كل فريق منهم بخفاجة ، فأعان كل فريق من الكوفيين طائفة من خفاجة ، فجرى بينهم قتال، فظهر العلويون ، وقُتل من العباسيين ستة نفر ، واحرقت دورهم ، ونُهبت ؛ فعادوا الى بغداد ومنعوا من الخطبة يوم الجمعة وثاروا ، وقتلوا ابن ابى العبّاس العلويّ ، وقالوا ان اخاه كان في جملة الفتكة بالكوفة ، فبرز امر الخليفة الى المرتضى يأمره بصرف ابن ابى طالب عن نقابة الكوفة وردّها الى المختار، فأنكر الوزير المغربى ما يجري على صهره ابن ابى طالب من العزل ، وكان عند قرواش بسرّ من رأى فاعترض ارحاء كانت للخليفة « بدرزيجان » فأرسل الخليفة القاضي أبا جعفر السمنانيّ في رسالة الى قرواش يأمره بابعاد المغربىّ عنه ففعل .

فسار المغربىّ الى ابن مروان بدياربكر ، وغضب الخليفة على النهرسابسي وبقي تحت السخط الى سنة ثماني عشرة واربعمائة ، فشفع فيه الاتراك وغيرهم فرضي عنه وحلّفه على الطاعة فحلف .

***

ج ٩ ص ٢٥٥

سنة ثماني عشرة واربعمائة :—وأما ابو القاسم بن المغربيّ فتوفي هذه السنة

بميافارقين وكان عمره ستًّا واربعين سنة (!) ؛ ولما احسّ بالموت كتب كتباً عن نفسه الى كل من يعرفه من الامراء والرؤساء الذين بينه وبين الكوفة ويعرفهم انّ حظيّة له توفيت وانه قد سيَّر تابوتها الى «مشهد امير المؤمنين عليّ» –عليه السلام– وخاطبهم في المراعاة لمن في صحبته . وكان قصده ان لا يتعرض احد لتابوته بمنع وينطوي خبره .

فلما توفي سار به اصحابه كما امرهم واوصلوا الكتب فلم يعرض احد اليه فدفن بالمشهد ولم يعلم به احد الّا بعد دفنه ، ولابي القاسم شعر حسن.

١٠ – ابن شدّاد

في : «الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشَّام والجزيرة»

[مخطوطة برلين رقم ٩٨٠٠]

(٦١٣ – ٦٨٤هـ/١٢١٦ – ١٢٨٥ م)

الورقة ٥٧ و– ٥٨ و

سنة [٤٢٨]

وفي شعبان منها توفي أبو القاسم الوزير وقيل في رمضان فوجد [نصر الدولة] عليه وجداً عظيماً . . .

وكان الوزير ابو القاسم الحسين بن عليّ المغربي قد وصل إلى ميّاً فارقين فاستوزره ، ورد الأمور كلها اليه ، وكان رجلًا عاقلًا فاضلًا قيل إنه لم يوزر لملك ولا لخليفة أكفأ منه .

وسار بالناس سيرة حسنة وبنى « نصر الدولة » « النصرية » أحسن بناء ، وبنى جسر الحسنية الذي على« تل بنان »، وبنى بالنصرية قصرًا حسناً على شاطئ الشط ، وعمل له باباً من الصفر ، وهو الآن بجامع ميأفارقين ؛ وعمل على شط سابد ماء وعمل بها بنكاما للساعات[1] وبنى كل من بني عمه واولاده دورًا وغرسوا البساتين ، واقام الاسواق وبنى الحمامات.

(١) هذه الجملة مضطربة في المخطوطة لم نستطع تصويبها .

وحصلت ميافارقين على أحسن ما يكون من العمارة...

وفي سنة ثلاث وعشرين واربعماية بنى جامع المحدثة والمصلى من ماله، وعزم عليه جملة دراهم كثيرة، ووقف عليه الوقوف.

وفي سنة ثاني وعشرين واربعمائة توفي «الوزير المغربي» بميافارقين ودفن بالكوفة بوصية منه «بباب المشهد الغربي» وأمر أن يكتب على لوح عند رأسه:

«يا جامع الناس لميقات يوم معلوم، اجعل عليّ بن الحسين (كذا!) من الفايزين الآمنين، واحشره يوم القيامة في التوّابين».

ووقف بميافارقين خزانة الكتب المعروفة الى الآن: «بخزانة المغربي».

١١ — الذهبيّ

في: «تاريخ الاسلام»

[مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن رقم ٤٩]

(٦٧٣ — ٧٤٨ هـ. / ١٢٧٤ — ١٣٤٧ م.)

الورقة ٩ و — سنة ٤٠٢ هـ.

في هذه الحدود، هرب من الديار المصرية ناظر ديوان الزمان بهـا وهو الوزير أبو القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ حين قتل الحاكم اباه وعمه. وبقي إلباً على الحاكم يسعى في زوال دولته بما استطاع؛ فحصل عنـد المفرّج بن جرّاح الطائي امير عرب الشام، وحسّن له الخروج على الحاكم، وقتْلَ صاحب جيشه؛ فقتله — كما ذكرنا سنة ٤٠١ — ثم قال ابو القاسم لحسّان ولد المفرج بن الجراح: ان الحسن بن جعفر العلويّ صاحب مكة لا مطعن في نسبـه، والصواب ان ننصبه إماماً، فأجابه. ومضى ابو القاسم الى مكة واجتمع باميرها، واطمعه في الامامة وسهل عليه الامور، وبايعه، وجوّز اخذ مـال الكعبة؛ وضربه دراهم. واخذ اموالاً من رجل يعرف بالمطوعي، عنده ودائع كثيرة للناس. واتفق موت المطوعي فاستولى على الاموال وتلقب بالراشـد بالله، واستخلف

نائباً على مكة ، وسار الى الشام ؛ فتلقاه المفرج وابنه وامراء العرب وسلموا عليه بامرة المؤمنين ، وكان متقلدًا سيفاً زعم انه ذو الفقار ، وكان في يده قضيب ذكر انه قضيب النبي – صلعم – ؛ وحوله جماعة العلويين وفي خدمته الف عبد . فنزل الرملة ، واقام العدل ، واستفحل امره ، فراسل الحاكمُ ابنَ الجرّاح ، وبعث اليه اموالًا استماله بها . واحسّ الراشد بالله بذلك ؛ فقال لابن المغربيّ : غررتني ، واوقعتني في ايدي العرب ، وانا راض من الغنيمة بالاياب والامان . وركب الى المفرج بن الجراح وقال : قد فارقتُ نعمتي ، وكشفتُ القناع في عداوة « الحاكم » سكوناً الى ذمامك ، وثقة بقولك ، واعتمادًا على عهودك . وارى ولدك « حسّاناً » قد اصلح امره مع الحاكم ، واريد العود الى مأمني . فسيّره المفرج الى وادي القرى . وسيّر ابا القاسم بن المغربي الى العراق . فقصد ابو القاسم « فخرَ الملك ابا غالب » فتوهموا فيه انه يفسد الدولة العباسية ، فانسحب الى الموصل . ونفق على « قرواش » ثم عاد الى « بغداد » .

١٢ – المقريزي

في : « الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل »

طبعة مصر سنة ١٢٧٠هـ .

(٧٦٦ – ٨٤٥ هـ . / ١٣٦٥ – ١٤٤١ م .)

ج ٢ ١٥٧ – ١٥٨

(ذكر بساتين الوزير) :

هذه البساتين في الجهة القبلية من « بركة الحبش » وهي قرية فيها عدة مساكن ، وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة وعرفت بالوزير ابي الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن عليّ المغربيّ .

وبنو المغربي اصلهم من البصرة وصاروا الى بغداد . وكان ابو الحسن علي

ابن محمد تخلف على ديوان المغرب ببغداد ، فنسب به الى المغرب .

وولد ابنه الحسين بن عليّ ببغداد فتقلد اعمالاً كثيرة منها تدبير محمد بن ياقوت — عند استيلائه على امر الدولة ببغداد — . وكان خالُ ولده علي (وهو ابو عليّ هارون بن عبد العزيز الأوارجيّ الذي مدحه ابو الطيب المتنبي) من اصحاب ابي بكر محمد بن رائق . فلما لحق ابن رائق ما لحقه بالموصل ؛ صار الحسين بن عليّ بن المغربي الى الشام ، ولقي الاخشيد واقام عنده. وصار ابنه ابو الحسن عليّ بن الحسين ببغداد فأنفذ الاخشيد غلامه «فاتكاً» المجنون ، فحمله ومن يليه الى مصر .

ثم خرج ابن المغربي من مصر الى حلب ولحق به سائر اهله ، ونزلوا عند سيف الدولة « ابي الحسن عليّ بن عبد الله بن حمدان » مدة حياته .

وتخصص به الحسين بن عليّ بن محمد المغربي، ومدحه ابو نصر بن نباتة ؛ وتخصص ايضاً عليّ بن الحسين بسعد الدولة بن حمدان ومدحه ابو العباس النامي، ثم شجر بينه وبين ابن حمدان ، ففارقه ، وصار الى بكجور بالرقة ، فحسّن له مكاتبة العزيز بالله نزار ، والتحيز اليه . فلما وردت على العزيز مكاتبة بكجور قبله واستدعاه ، وخرج من الرقة يريد دمشق ، فوافاه عبد العزيز بولاية دمشق ، وخلفه ، فتسلمها ، وخرج لمحاربة ابن حمدان بحلب بمشورة عليّ ابن المغربي ، فلم يتم له امر ، وتأخر عنه من كاتبه، فقال لابن المغربي: غررتني فيما اشرت به عليّ ! وتنكر له ففرَّ منه الى الرقة . وكانت بين بكجور وبين ابن حمدان خطوب آلت الى قتل ابن بكجور ، ومسير ابن حمدان الى الرقة ، ففر ابن المغربي منها الى الكوفة ؛ وكاتب العزيز بالله يستأذنه في القدوم فأذن له ، وقدم مصر في جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة [٣٨١] هـ .

*
**

وخدم بها ، وتقدم في الخدم فحرض العزيز على اخذ حلب فقلد « منجوتكين » بلاد الشام وضم اليه ابا الحسن بن المغربي ليقوم بكتابته ونظر الشام وتدبير الرجال والاموال .

فسار الى دمشق في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وخرج الى حلب وحارب ابا الفضائل بن حمدان وغلامه لؤلؤا . فكاتب لؤلؤ ابا الحسن ابن المغربي ، واستماله حتى صرف منجوتكين عن محاربة حلب وعاد الى دمشق ، وبلغ ذلك العزيز بالله ، فاشتد حنقه على ابن المغربي ، وصرفه بصالح ابن عليّ الروزبادى، واستقدم ابن المغربي [الى مصر] ولم يزل بها حتى مات العزيز بالله ، وقام من بعده ابنه الحاكم بامر الله « ابو عليّ بن منصور » فكان هو وولده ابو القاسم حسين من جلسائه .

فلما شرع الحاكم بامر الله في قتل رجال الدولة من القواد والكتاب والقضاة ، قبض على عليّ ومحمد ابني المغربي وقتلهما .

ففرّ منه ابو القاسم حسين بن عليّ المغربي الى حسّان بن مفرج بن الجرّاح، فأجاره ، وقلد « الحاكم » « يارجتكين » الشام ، فخافه ابن جرّاح لكثرة عساكره ، فحسن له ابن المغربي مهاجمته فطرق « يارجتكين » في مسيره على غفلة ، واسره ، وعاد الى الرملة فشن الغارات على رساتيقها ، وخرج العسكر الذي بالرملة ، فقاتل العرب قتالا شديدًا كادت العرب ان تنهزم لولا ثبتها ابن المغربيّ واشار عليهم باشهار النداء باباحة النهب والغنيمة ، فثبتوا ونادوا في الناس ، فاجتمع لهم خلق كثير وزحفوا الى « الرملة » فملكوها ، وبالغوا في النهب والهتك والقتل ، فانزعج « الحاكم » لذلك انزعاجاً عظيماً ، وكتب الى مفرج ابن جرّاح يحذره سوء العاقبة، ويلزمه باطلاق « يارجتكين » من يد « حسّان » ابنه ، وارساله الى القاهرة ، ووعده على ذلك بخمسين الف دينار. فبادر ابن المغربي لما بلغه ذلك الى «حسّان» وما زال يغريه بقتل «يارجتكين» حتى احضره وضرب عنقه ، فشق ذلك على « مفرّج » ، وعلم انه فسد ما بينهم وبين الحاكم .

فأخذ ابن المغربي يحسّن لمفرج خلع طاعة الحاكم والدعاء لغيره الى ان استجاب له ، فراسل « أبا الفتوح الحسن بن جعفر العلويّ » امير مكة يدعوه الى الخلافة ، وسهل له الامر . وسير اليه بابن المغربيّ يحثه على المسير وجرأه على اخذ مال تركه بعض المياسير ، ونزع المحاريب الذهب والفضة المنصوبة على

الكعبة ، وضربها دنانير ودراهم ، وسماها « الكعبية » .

وخرج ابن المغربي من مكة فدعا العرب من سليم وهلال وعوف بن عامر . ثم سار به وبمن اجتمع عليه من العرب حتى نزل الرملة ، فتلقاه « بنو الجراح » لذلك .

واخذ في استمالة حسَّان ومفرج وغيرهما وبذل لهم الاموال فتنكروا على « ابي الفتوح » وقلد ايضاً « مكة » بعض بني عم « ابي الفتوح » فضعف امره وأحس من حسَّان بالغدر فرجع الى مكة ، وكاتب الحاكم ، واعتذر اليه فقبل عذره

ص ١٥٨ واما ابن المغربي فانه لما انحل أمر ابي الفتوح ورأى ميل بني الجرَّاح الى الحاكم كتب اليه :

وأنت وحسبي انت تعلمُ ان لي   لساناً امام المجد يبني ويهدم
وليس حليماً من تباس يمينه   فيرضى؛ ولكن من تعض فيحلمُ

فسير إليه اماناً بخطه .

وتوجه ابن المغربي قبل وصول أمان « الحاكم » اليه ، الى بغداد . وبلغ « القادر بالله » خبره فاتهمه بأنه قدم في فساد الدولة العباسية ، فخرج الى « واسط » واستعطف « القادر » فعطف عليه وعاد الى بغداد

*
**

ثم مضى الى « قرواش بن المقلد » امير العرب ، وسار معه الى الموصل ، فأقام بها مدة ، وخافه وزير «قرواش» فأخرجه الى ديار بكر فأقام عند اميرها « نصر الدولة ابي نصر احمد ابن مروان الكرديّ » ؛ وتصرف له . وكان يلبس في هذه المدة المرقعة والصوف . فلما تصرف غير لباسه ، وانكشف حاله ، فصار كمن قيل فيه وقد ابتاع غلاماً تركيًّا كان يهواه قبل ان يبتاعه :

تبدل من مرقعة ونسك   بأنواع الممسك والشفوف
وعنَّ له غزال ليس يحوي   هواه ولا رضاه بلبس صوف
فعاد اشد ما كان انتهاكاً   كذاك الدهر مختلف الصروف

واقام هناك مدة طويلة في اعلى حال وأجل رتبة واعظم منزلة ثم كوتب

بالمسير الى الموصل ليستوزره صاحبها ، فسار عن « ميافارقين » و« ديار بكر » الى الموصل فتقلد وزارتها وتردد الى بغداد في الوساطة بين صاحب الموصل وبين السلطان ابي عليّ بن سلطان الدولة ابي شجاع بن بهاء الدولة ابي نصر ابن عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة ابي علي بن بويه .

واجتمع برؤساء الديلم والاتراك ، وتحدث في وزارة الحضرة حتى تقلّدها بغير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة في شهر رمضان سنة خمس عشرة واربعمائة [٤١٥] هـ .

فأقام شهورًا واغرى رجال الدولة بعضهم ببعض . وكانت امور طويلة آلت الى خروجه من الحضرة الى « قرواش » ، فتجدد للقادر بالله فيه سوء ظن بسبب ما اثاره من الفتنة العظيمة بالكوفة ، حتى ذهبت فيها عدة نفوس وأموال .

ففرَّ الى « ابي نصر بن مروان » فأكرمه وأقطعه ضياعاً ، واقام عنده فكوتب من بغداد بالعود اليها . فبرز عن «ميافارقين» يريد المسير الى «بغداد» فسمَّ هناك ، وعاد الى المدينة فمات بها لأيام خلت من شهر رمضان سنة ثماني عشرة واربعمائة [٤١٨ هـ]

ومولده بمصر ليلة الثالث عشر من ذي الحجة سنة سبعين وثلثمائة .

*
**

وكان اسمر شديد السمرة ، بساطاً ، عالماً ، بليغاً ، مترسلاً ، متفنناً في كثير من العلوم الدينية والادبية والنحوية ، مشارًا اليه في قوة الذكاء ، والفطنة ، وسرعة الخاطر ، والبديهة ، عظيم القدر ، صاحب سياسة وتدبير وحيل كثيرة وامور عظام دوَّخ الممالك وقلب الدول وسمع الحديث وروى وصنف عدة تصانيف .

« وكان ملولاً ، حقودًا ، لا تلين كبده ، ولا تنحل عقده ، ولا يجنى عوده ، ولا يرتجى وعوده . وله رأي يزين له العقوق ، ويبغض إليه رعاية الحقوق ، كأنه من كبره قد ركب الفلك ، واستولى على ذات الحُبُك... »[1]

(١) هذا رأي ابن القارح في الوزير المغربي ، نقله المقريزي بحرفيته – انظر رسالة ابن القارح في « رسائل البلغاء » ص ٢٧٥ . وقد أثبتنا منها في الصفحات السابقة .

١٣ ــ جلال الدين السيوطي

في : « الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب »

[نشره وصحّحه الاستاذ أحمد عبيد – دمشق ١٣٦٨ هـ]

(٨٤٩ — ٩١١ هـ / ١٤٤٥ — ١٥٠٥ م)

| ص ٣١ | وقال ابو القاسم الوزير :

أنستُ بوحدتي حـتىٰ لوَ انّي   رأيتُ الانسَ لاستوحشتُ منهُ
ولم تَدَعِ التجـاربُ لي صديقاً   أميلُ إليـه إلّا ماتُ عنهُ
[وما ظفرت يدي بصديق صدقٍ   أخاف عليه الّا خفتُ منهُ][1]

١٤ ــ عبد الرحيم العبّاسي

في : « معاهد التنصيص » أو « شرح شواهد التلخيص »

[طبعة القاهرة لسنة ١٢٧٤ هـ]

(٨٦٨ — ٩٦٣ هـ / ١٤٦٣ — ١٥٥٥ م)

| ص ٢١٠ | وقال الوزير المغربيّ :

يا رُبَّ سوداء تيمتني يحسنُ في مثلها الغرامُ
كالليل تُستسهَل المعاصي فيه ويُستعذَب الحرامُ

---

(١) البيت الثالث زيادة من كتاب « غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة» للوطواط – ط. بولاق سنة ١٢٨٤ ص ٤٦٣ . وقد روى الوطواط هذه الابيات الثلاثة في ترتيب مختلف فجعل الاول ثالثاً ولم يسمّ القائل . ثم انفرد برواية البيتين التاليين منسوبين إلى الوزير المغربي في كتاب « غرر الخصائص » ص ٤٧٣ :

أي شيء يكون أقبح مرأىً   مِنْ صديق يكون ذا وجهينِ
مِنْ ورائي يكون مثل عدوّي   وإذا يلقني يقبّل عيني

| ص ٣٤٩ | وقال الوزير ابو القاسم المغربيّ :

قارعتِ الأيامُ مني أمرءاً قد علق المجد بأمراسهِ
تستنزل الرزق بإقدامــهِ وتستمد العزَّ من باسهِ
أروع لا ينحط عن تيهِهِ والسيف مسلولٌ على راسهِ

١٥ ـ ياقوت الحموي [1]

في : « معجم البلدان »

[طبعة وستنفلد - ليبزيغ ١٨٦٩ م .]

(٥٧٤ — ٦٢٦ هـ . / ١١٧٨ — ١٢٢٨ م .)

| ج ٤ ص ٦٠٩ |

وقال الوزير الكامل أبو القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ وكان «الحاكم» أقتلهُ بمصر :

اذا كنت مشتاقاً إلى «الطف» تائقاً إلى «كربلا» فانظر عراص «المقطم» [2]
ترى من رجال المغربيّ عصابةً مضرجة الأوساط والصدر بالدم

وقال أيضاً يرثي أباه وعمه وأخاه :

تركتُ على رغمي كراماً أعزةً بقلبي وان كانوا بسفح «المقطَّمِ»
أراقوا دماهم ظالمين وقد دروا وما قتلوا غير العُلا والتكرمِ
فكم تركوا محراب آيٍ معطلاً وكم تركوا من ختمة لم تتممِ

---

(١) فاتنا أن ندرج في مواطنه ، وفاق ترتيبنا للوفيات، ما جاء في ياقوت وابن العديم وابن شاكر الكتبي عن الوزير المغربي ، وسعياً وراء الكمال نورده هنا معتذرين .

(٢) هذه الابيات أوردنا بعضها عن ابن الصيرفي في كتابنا على رواية مختلفة فارجع اليها اذا شئت لتدرك ما بينها وبين هذه من اختلاف ص١٨

١٦ ـ ابن العديم

في : «بغية الطالب في تاريخ حلب»

[مخطوطة استانبول رقم ٣٠٣٦]

(٥٨٨ — ٦٦٦ هـ . / ١١٩٢ — ١٢٦٧ م.) | ص ١٧٨ |

ومن أحسن ما وقع إليّ في وصفها [أي المعرّة] أبياتٌ قالها الوزير أبو القاسم الحسين بن عليّ بن الحسين بن المغربي . . . والأبيات :

ما على ساكني «المعرّة» لو أنَّ ـم ديارًا نبت بهم أو طلولا
يسكنون العُلا معاقل شُمّاً ويرون الآداب ظلّا ظليلا
منزل شاقني أنيس وما كا ن رسوماً نواحلًا وطلولا
حيث يُدعى النسيم فظاً ويُلفى سَبَل الغاديات شكساً بخيلا
اينما تلتفت تجدْ ظل طوبى وتجد كوثرًا أغرَّ صقيلا
تربها طيّبَ الشبابَ فما يصـ حَبُ إلاَّ السرورَ فيها خليلا
فترى اللهو ان اردت طليقاً والتقى إن أردتـه مغلولا
واذا ما اعتزى بها الادبُ العُذ ريُّ جاءوا عمارة وقبيلا
ايت لا يعنف السحابُ عليها ليته جادها عليلًا كليلا
وسلام على بنيها ولا زا ل نعيم الحياة فيهم نزيلا[1]

| ص ٣٥٧ |

وقد ذكر «قويق» جماعةٌ من الشعراء ووصفوه . فمنهم الوزير أبو القاسم الحسين بن عليّ المغربي قال فيه ، وقرأتها في «ديوان شعره» :

---

١) رُويت هذه الأبيات في «تعريف القدماء بأبي العلاء» – طبعة دار الكتب المصرية ص ٥٩٠ .

أما « قويق » فلا عدته مزنة ... من خدرها برز الغمام الصيِّبُ
نهر لأبناء الصبابــة معشق ... فيه وللصادي الملوّح مشربُ
لا زال يُبدرم تحت وسق مكلل ... عمم يقدّح منكبيه وينكبُ
ممـا غناه الربيع لريّــه ... أيام ظمء رياضــه لا تُقربُ
فرد الرباب يقول شائم برقه ... من أين رفع ذا الفريق المهدبُ
والغيث في كلل السحاب كأنه ... ملك بقاصية الرواق محجّبُ
صخب الرعود وانما هي ألسنٌ ... فأمرُّهن الـلوذعي المسهبُ
راعى الضحى في حين غرة أمنه ... فسناه مخطوف الاضاءة اكهبُ
جذلان ان هتك اللثام بداله ... خدٌّ بجاديّ البوارق مذهبُ
والأرض حاسرة تود لو انّهـا ... ممـا يحبّرهُ الربيع تجلببُ

١٧ – ابن شاكر الكتبي

في : « عيون التواريخ »

[مخطوطة الظاهرية رقم ٤٩ تاريخ]

(٦٨١–٧٦٤ هـ / ١٢٨٧–١٣٦٢ م)

| ج ١٣ الورقة ٩١ و |

... وللوزير ديوان ترسل . وديوان شعر . واختصار اصلاح المنطق . واختصار الأغاني . وكتاب الايناس . وأدب الخواص . والمأثور في ملح الخدور . وتفسير القرآن في مجلد . وغير ذلك .

ورأيت « السيرة النبوية » بخطه، وهي أجزاء صغار كتابة مليحة . وعندي « فصيح ثعلب » بخطه . وإليه كتب أبو العلاء المعرّي رسالته الاغريضية .

ومن شعره ... وقوله ... [1]

---

(١) اكتفينا من ابن شاكر بهذا القدر ، لان أكثر ما جاء عنده عن الوزير المغربيّ مما نستفيد منه رويناه عن مصادر أخرى .

فهارس الكتاب



١ ـ فهرس « شعر الوزير » المرويّ في كتب الأدب والتاريخ(١)

(مرتبًا على حروف المعجم)

(١) وقع ابن العديم في القرن السابع الهجريّ على نسخة من « ديوان شعر الوزير المغربيّ » فنقل منها قصيدتين في وصف حلب والمعرة رويناهما عن تاريخه «بغية الطلب» (مخطوطة استانبول ص ١٧٨ ، ٣٥٧) . اما اليوم فقد ضاع الديوان ؛ لهذا حشدنا في الكتاب كل ما وقفنا عليه من شعره ليتضح لدى القارئ أدب المغربي نثره وقريضه ، وقد أغفلنا في هذا الجدول ما ورد في « رسالة الوزير إلى المعرّي » من شعر لم ينسبه صراحة إلى نفسه أو غيره ؛ وما ورد في « شرح نهج البلاغة » من شعر زعموا أنه قاله في آل «النبيّ» ـصلعمـ لم نستبح لأنفسنا روايته .

الصفحة	البيت	عدد الابيات	المصدر
٩٣	كن حاقداً ما دمت لست بقادر فاذا قدرت فخل حقدك واغفرِ	٢	الثعالبي
١٠٤	أقول لها والعيس تحدج للسرى أعدّي لفقدي ما استطعت من الصبرِ	٣	ياقوت
١٠٤	من بعد ملكي رمتم أن تغدروا ما بعد فرقة ما ملكت تخيّرُ	٣	ياقوت
١٠٤	تأمل من أهواه صفرة خاتمي فقال بلطف لم تجنبت أحمرهْ	٢	ياقوت
	قافية السين		
١١٦	قارعتِ الأيامُ مني أمرءا قد علق المجد بأمراسهِ	٣	العبّاسي
	قافية الشين		
٩٦	وما ظبية أدماء تحنو على الطلا ترى الانس وحشاً وهي تأنس بالوحشِ	٦	ابن الجوزي
	قافية الطاء		
١٠٢	خف الله واستدفع سطاه وسخطه وسائله فيما تسأل الله تعطهُ	٨	ياقوت
	قافية العين		
١٠٣	أرى الناس في الدنيا كراع تنكرت مراعيه حتى ليس فيهن مرتعُ	٢	ياقوت
	قافية اللام		
١١٧	ما على ساكني المعرّة لو أنّ دياراً نبت جم أو طلولا	١٠	ابن العديم
	قافية الميم		
١٨، ١١٦	إذا كنت مشتاقاً إلى الطف تائقاً إلى كربلا فانظر عراص المقطّمِ	٥	ابن الصيرفي و ياقوت
٩٦، ١٠١	كنت في سفرة الغواية والجهـ ـل مقيماً فحان مني قدومُ	٣	ياقوت وابن الجوزي
١١٣	وأنت وحسبي أنت تعلم أنّ لي لساناً أمام المجد يبني ويهدمُ	٢	المقريزي
١١٥	يا رب سوداء تيمتني يحسن في مثلها الغرامُ	٢	العبّاسي
	قافية النون		
٩٢، ١٠٥	إني أبثك من حديـ ـثي والحديث له شجونُ	٣	الثعالبي وياقوت
٩٦	ولقد بلوت الدهر أعجمَ صرفهُ فأطاع لي عصيانه وليانهُ	٣	ابن الجوزي
١٠٣	لي كلما ابتسم النهار تعلة بمحدث ما شاء قلبي شانهُ	٢	ياقوت
١٠٣	لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة أعلى من الشكر عند الله في الثمنِ	٢	ياقوت
١١٥	أنست بوحدتي حتى لو أني رأيتُ الانس لاستوحشتُ منهُ	٣	السيوطي
١١٥	أي شيء يكون أقبح مرأى من صديق يكون ذا وجهينِ	٢	الوطواط

٢ ـ فهرس أعلام الرجال والقبائل والطوائف(١)

(١) ذكرنا بعد أعلام المؤلفين أو الناشرين عناوين كتبهم مختصرة بين قوسين، لكي يستطيع القارئ الرجوع الى المصادر كاملة في « فهرس الكتب » ؛ وجعلنا النجمة قبل الاسم إشارة إلى أن المؤلف أورد من أخبار الوزير أو من شعره أو كتبه .

٣ – فهرس الأماكن والبلدان

٤ _ فهرس الكتب والمصادر (*)

(ا)

١ — « أبو العلاء وما اليه » – لعبد العزيز الميمني الراجكوتي (المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٤ هـ) ١٩ ، ٣٣ ، ٣٥

٢ — « أحسن التقاسيم » – للمقدسي (طبعة ليدن ١٩٠٦) ٣٨

٣ — « الاحكام السلطانية » – للماوردي (مصر ١٣٢٧ / ١٩٠٩) ٧٢

— « إخوان الصفاء » = « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء »

٤ — « ادب الخواص » – للوزير المغربي (مخطوطة في بروسه بتركيا) ١٠، ١٥، ١٦، ٣٥ ، ٤٤ ، ١١٨

— الادباء = « ارشاد الاريب »

٥ — « الادب الصغير » – لابن المقفع (مصر ١٩١٢) ٣١

٦ — « الادب الكبير » – لابن المقفع (في رسائل البلغاء طبعة الاستاذ محمد كرد علي– مصر ١٩٤٦)٣١

٧ — « آراء أهل المدينة الفاضلة » – لأبي نصر الفارابي (مطبعة النيل بمصر) ٣٣

٨ — « ارشاد الاريب » او « معجم الادباء » – لياقوت الحموي (طبعة الدكتور الرفاعي بمصر ١٩٣٦) ٩ ، ٢٣ ، ٥٨ ، ١٠٠

٩ — « الاشارة الى محاسن التجارة » – لابي الفضل جعفر بن عليّ الدمشقي (مصر ١٣١٨هـ)٧٢، ١١٦

١٠ — « الاشارة الى من نال الوزارة » – لابن الصيرفي (مصر ١٩٢٤) ٩ ، ١٧

١١ — « اصلاح المنطق » – لابن السكيت (مصر ١٩٠٧) ١٥

١٢ — « الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة » – لابن شدّاد (مخطوطة برلين رقم ٩٨٠٠) ٣٠ ، ٣١ ، ٤٦ ، ١٠٨

١٣ — « الاغاني » – لابي الفرج الأصبهاني (مصر ١٩٢٧ – ١٩٣٥) ٣٣، ١١٨

— الاغريضية = « رسالة الاغريض »

١٤ — « اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء » – لهلال الصابئ (نشر الاستاذ ميخائيل عوّاد ببغداد ١٩٤٨) ١٩

١٥ — « الايناس في الانساب » – للوزير المغربي (مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن رقم ٥٩٤) ١٦ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ١١٨

---

*) اقتصرنا في هذا الفهرس على اهم المصادر التي اعتمدنا عليها أو رجعنا اليها مع سني الطبع وأمكنته ، وأغفلنا المصادر الاخرى التي لم تأت بجديد بالنسبة الى ما ذكرنا ، ونذكر

(ب)

١٦ — « بغية الطلب في تاريخ حلب » – لابن العديم (مخطوطة في استانبول رقم ٣٠٣٦) ١٨، ١١٧ .

(ت)

— التاج = « كتاب التاج في أخلاق الملوك »

— تاريخ ابن الاثير = « كتاب الكامل في التاريخ »

١٧ — « تاريخ الأدب العربي » – لبروكلمن (بالالمانية GAL : الطبعة الثانية في ليدن ١٩٤٣) ٣٢ ، ٤٠

١٨ — « تاريخ الاسلام » – للذهبي (مخطوطة في المتحف البريطاني بلندن رقم ٤٩) ١٠٩

١٩ — « التاريخ الكبير » – لابن عساكر (اختصار الشيخ عبد القادر بدران بدمشق ١٣٣٢) ٩ ، ١٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤

٢٠ — « تعريف القدماء بأبي العلاء » – نشرته لجنة إحياء آثار المعرّي (طبعة دار الكتب المصرية) ١١٧

٢١ — « التواليف الاسلامية في العلوم السياسية والادارية » – لعبدالله مخلص (في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٣) ٣٢

٢٢ — « تتمة اليتيمة » – للثعالبي (طهران ١٣٥٣ هـ) ٤٦ ، ٩١

(ج)

٢٣ — « الجامع الصغير » – للجلال السيوطي (مصر ١٣٢٣ هـ) ٦٩

(ح)

٢٤ — « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » – لآدم متز (ترجمة الاستاذ عبد الهادي أبي ريده بمصر ١٩٤٠) ١٠ ، ٣٩

(خ)

٢٥ — « الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل » – للمقريزي (مصر ١٢٧٠ هـ) ١٠ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٩٩ ، ١١٠

(د)

٢٦ — « دمية القصر وعصرة أهل العصر » – للباخرزي (طبعة الاستاذ راغب الطباخ بحلب ١٩٣٠) ١٦ ، ٣٢ ، ٤٩

٢٧ — « الدول المنقطعة » – لابن ظافر الازدي (مخطوطة بلندن رقم ٣٦٨٥) ١٧، ٩٧

٢٨ — « ديوان ابي فراس الحمداني » – تحقيق وتعليق سامي الدهان (بيروت ١٩٤٤) ٤٧

٢٩ — « ديوان امرئ القيس » – صنعة السكري (مخطوطة بليدن) ٢٥

— ديوان المتنبي = « شرح ديوان المتنبي »

هنا على سبيل المثال منها : « البداية والنهاية » – لابن كثير ج ١٢ ص ٢٤ – والنجوم الزاهرة – لابن تغري بردي ط . اوربة ج ٣ ص ١٤٨ ، ٢٢٩ ؛ ومعلمة الاسلام بالفرنسية ج ٣ ص ١١٤ ، ٢٥٦ ؛ وغيرها تجنباً للاطالة .

٤٤ — «شرح ديوان المتنبي» — للخطيب التبريزي (مخطوطة) ١٥

٤٥ — «شرح ديوان المتنبي» — للعكبري (تحقيق الاساتذة السقا والابياري والشلبي بمصر ١٩٣٦) ١١، ١٦

٤٦ — «شرح نهج البلاغة» — لابن أبي الحديد (مصر ١٣٢٩هـ) ٣٣

٤٧ — «الشهاب الثاقب في ذم الخليل والصاحب» — لجلال الدين السيوطي (نشره الأستاذ أحمد عبيد بدمشق ١٣٦٨ هـ) ١١٥

(ص)

٤٨ — «صبح الاعشى في صناعة الانشا» — للقلقشندي (مصر ١٩١٣ — ١٩١٨) ٣٣، ٨٨

(ع)

عام الانساب = «الايناس في الانساب»

٤٩ — «عيون التواريخ» — لابن شاكر الكتبي (مخطوطة في الظاهرية رقم ٤٩ تاريخ) ١١٨

(غ)

٥٠ — «غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة» — لابراهيم الوطواط (بولاق ١٢٨٤ هـ) ١١٥

(ف)

٥١ — «الفارابيان : الفارابي وابن سينا» — للدكتور عمر فرّوخ (بيروت ١٩٤٤) ٣٣، ٣٦

٥٢ — «الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير» — لجلال الدين السيوطي (مصر ١٣٥٠ هـ) ٦٩

٥٣ — «فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية» — (مصر ١٣٠٨هـ) ٤٠، ٤٨

٥٤ — «فهرس ليدن للمخطوطات العربية» — لهوتسما وده خويه (باللاتينية في ليدن ١٨٨٨) ٣٥

٥٥ — «فهرس المتحف البريطاني للمخطوطات العربية» — لريّو (بالانكليزية في لندن ١٨٩٤) ٣٦

٥٦ — «فهرس مكتبة الاسكوريال للمخطوطات العربية» — لديرنبورغ (بالفرنسية في باريس ١٨٨٤) ٣٦

(ق)

٥٧ — «القاموس المحيط» — لمجد الدين الفيروزابادي (مصر ١٣٥٣ / ١٩٣٥) ٥٠، ٦٠، ٦١، ٧٤، ٧٨

٥٨ — «قانون ديوان الرسائل» — لابن الصيرفي (نشره علي بهجت بمصر ١٩٠٥) ٩

وهناك مصادر أخرى غير هذه في السياسة والتدبير ضربنا صفحاً عن التفصيل فيها ، فلا علينا إن سردناها هنا ، سعياً وراء خدمة المراجع والدارس . وهي :

الاحكام السلطانية : للفراء الحنبليّ – وسراج الملوك : للطرطوشي – والمنهج المسلوك في سياسة الملوك : للشيخ عبد الرحمن بن نصر – وتدبير الدول : للحسن بن عبدالله العباسي – وسير الملوك : لعبدالرحمن الاربلي – والفخري في الآداب السلطانية : لابن الطقطقي – وواسطة السلوك : لابن زيان العبد – والابريز المسبوك : لمحمد بن عليّ الاصبحي .

وكل هذه الكتب مطبوعة في متناول القراء .

---

١) اورد ياقوت في هذا الكتاب اسم الوزير المغربي عدة مرات مستنداً إلى ما رآه اللغويون من خطئه في تصويب بعض الكلمات كحجّة في اللغة .

٥ _ فهرس أبواب الكتاب ومحتوياته

مقدمة الناشر

الصفحة

كتاب في السياسة

ترجمة الوزير المغربي عند الكتب

فهارس الكتاب

استدراك

ذكرنا من قبلُ في الصفحتين (٤٤ ، ٥٨) أننا لم نجد ، في المصادر التي أتيح لنا الاطلاع عليها ، ذكرًا « لصاعد » الذي سمع منه الوزير المغربيّ ، ونقل عنه في كتابه نصائح في حفظ الصحة .

ولكننا بعد طبع ما تقدم ، وقعنا على رسالة « أنشأها مطران نصيبين وأعمالها الأستاذ أبي العلاء صاعد بن سهل الكاتب يذكر فيها المجالس التي جرت بينه وبين الوزير أبي القاسم الحسين بن عليّ المغربيّ » . وفيها سبعة مجالس جرت بين المطران ايليا والوزير حين قدم المغربيّ إلى نصيبين «يوم الجمعة السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع عشرة وأربعمائة » . والرسالة هذه مصدر ثمين في المصادر التي حصلنا عليها ، تفصح عن آراء الوزير وحججه ، وتبين عن مبلغ وقوفه على اللغة والدين وهو يناقش المطران ، نشرها الأب شيخو في المشرق عام ١٩٢٢ ثم طبعت على حدة ؛ نقتطف منها (ص ٢٨) ما جاء على لسان الوزير : —

«قال الوزير : إني عند كوني في الدفعة الأولى في دياربكر توجهت إلى بدليس في مهمّات عرضت لي فهجم بي عند وصولي إليها مرضٌ عظيمٌ سقطت منه قوّتي وبطلت شهوتي ، وأيست من نفسي فخرجت منها راجعاً إلى ميافارقين، حتى إذا قضى الله سبحانه عليّ بما لا بدّ منه كان بها أو بالقرب منها . وكانت نفسي لا تقبل شيئاً من الطعام ولا الشراب ، فتكلفتُ من تعب الطريق والركوب مشقة عظيمة . وكنتُ أسير في كل يوم مسافة قريبة ؛ والضعف يتزايد ، والقوة تنقص ، والمرض يشتد ويصعب فوصلتُ إلى دير في الطريق يُعرف بدير مار ماري ، وأنا أضعفُ مما كنت والمرض أقوى مما كان. . .»

وعلى هذا الأسلوب يقص المطران على لسان الوزير كيف دخل الدير ، وأكل من الرمان فيه ، فشفي إلى أن قال :« فتحيرتُ وتعجبتُ أنا وكل من

معي على ما جرى . وأنا الآن إذا تذكرتُ ذلك أعجبُ منه ، وأعتقد أنــه آيةٌ عجيبةٌ أعيدُها في كل وقت وفي كل مكان على كل أحد .»

وهكذا فعل ، فقد أعادها الوزير في كتابه « في السياسة ». ودلّنا على أنه ألفه بعد أن لقي الطبيب « صاعدًا » وهو أخو المطران ايليا ، وأحد أطباء الوزير أبي القاسم ، كما تقول الرسالة . فقد ألف الكتاب إذًا بعد هذا المرض العظيم ، وأراد أن ينصح به من يقع في مثل مــا وقع فيه ، فكأنه وصف داءه ودواءه . ونحن قد أشرنا إلى أنه ألفه في أواخر حياته حين ألقى عصا الرحلة عند ابن مروان ، وقدمه إليه ، حوالي عام ٤١٥ هـ ، وبذلك يؤكد هذا المصدر الثمين صدق ما ذهبنا إليه ، في مقدمتنا ، من نسبة الكتاب الى أبي القاسم ؛ ويعرّفنا إلى طبيبه « صاعد ».

تصويب : وقعت في الكتاب ، من غير شك ، أخطاء مطبعية لم نقف عليها بعدُ ، نعتذر عنها سلفًا . ولكننا رأينا ان ننبه إلى تصحيح كلمة (قرواش) فقد جاءت في الصفحتين (١٠١ ، ١٠٧) عدة مرات : « قراوش » وهي خطأ .

